الفصل الثانى

البرهان الذاتى .. والبرهان العام .. فى الأديان والإعجاز القرآنى

١ . رؤية نمطية ... .

فى مقدمة الطبعة الثانية من كتاب " **المعتقدات الدينية لدى الشعوب** " [١] يقول الأستاذ الدكتور المترجم لهذا الكتاب إلى العربية .. بأن مؤلف الكتاب " **جفرى بارندر** " [٢] :

---

[١] " **المعتقدات الدينية لدى الشعوب** " ؛ **جفرى بارندر** . ترجمة أ. د. / أمام عبد الفتاح إمام (أستاذ ورئيس قسم الفلسفة ــ جامعة الكويت) ، ومراجعة : د. / عبد الغفار مكاوى . الناشر : مكتبة مدبولى للنشر والتوزيع . والكتاب الأصلى ــ عن الإنجليزية ــ هو :

" World Religions: From Ancient History to the Present "; Editor: Geoffrey Parrinder. Facts on File Publications, New York, New York. Bicester, England

والترجمة العربية لهذا الكتاب قد حذف منها ــ فيما حذف ــ الفصول الخاصة بالديانات اليهودية ، والمسيحية ، والإسلامية ، تحت دعوى ــ كما يقول المترجم ــ بأن الكتب والشروح لهذه الديانات فى متناول الجميع فى العالم العربى ، من ناحية ، كما وأن العالم العربى أقدر على فهم هذه الديانات من غيره (بديهى ؛ بما فى ذلك مؤلف الكتاب نفسه) من ناحية أخرى . ولم يتنبه المترجم الى أن أهمية احتواء الترجمة العربية لهذه الأديان ترجع إلى ضرورة معرفة العالم العربى منظور الغرب لهذه الأديان ، وخصوصا المنظور الخاص بالديانة الإسلامية ، وهل أصاب المؤلف ــ جفرى بارندر ــ فى فهمه وعرضه لها ، أم أنه أخطأ كعادة الكتاب الغربيين عند الكتابة عن الديانة الإسلامية . وبديهى ؛ معرفة وجهة نظر المؤلف ــ هنا ــ تصبح ضرورية حتى يمكن تصحيح أخطاء الكتاب الغربيين فى هذا الشأن . وإذا كان السيد المترجم قد شكك فى فهم المؤلف ، أى فى فهم جفرى بارندر ، للديانات اليهودية والمسيحية (وهما ديانة الكاتب نفسه) ، والإسلام (لأننا أقدر منه على فهم هذه الديانات كما يقول ، أنظر التذييل الثالث ــ أيضا ــ من هذا الفصل) ، فهو مع ذلك ــ أى المترجم ــ لم يقدم لنا أى ضمانات تؤكد على أن المؤلف جفرى بارندر قد أصاب فى فهمه لباقى الديانات الأخرى التى كتبها فى كتابه هذا أم لا .. والتى قام السيد المترجم بترجمتها إلى العربية ..!!!

[٢] **جفرى بارندر** (١٩١٠ - ...) : رُسِّم قسيسا فى الكنيسة الإصلاحية فى عام ١٩٣٦ ، وحاضر فى الاديان إبتداءا من عام ١٩٤٩ . ثم أصبح أستاذا للأديان المقارنة بكلية اللاهوت بجامعة لندن ، ثم عميدا للكلية ، وأستاذا للأديان المقارنة بكلية الملك بجامعة لندن من ١٩٧٠ إلى ١٩٧٧ ، وله عدة مؤلفات عن مقارنة الأديان منها الكتاب المذكور الذى ترجم إلى العربية .

" .. **لا يقوم بعقد مقارنات عابثة لا معنى لها بين ديانته الخاصة ــ أى المسيحية ــ وبين الأديان الأخرى . كما لو كان يدخل معها فى مباراة أو تنافس أو مسابقة ... إلخ ...** وإنما كان المؤلف على وعى تام بأن كل الجماعات البشرية ، تقريبا ، تكاد تتفق على القول بأن عقائد الجماعات الأخرى أحط منها ، فليس اليهود وحدهم هم الذين يعتبرون أنفسهم " **شعب الله المختار** " ، وإنما الهنود الأمريكيون أيضا يعدون أنفسهم **شعب الله المختار** " ، ويذهبون إلى أن " **الروح الأعظم** " هو الذى خلق هذا الشعب ليكون نموذجا يحتذى ، ومثالا يرتفع إليه البشر ! وهناك قبيلة من القبائل الهندية تطلق على نفسها " **الناس الذين لا ناس سواهم** " ، وأخرى تطلق على نفسها " الناس بين الناس " ***إلى آخر هذا الفهم البدائى المتخلف للدين*** ، كما لو أن الدين يمكن أن يكون بدوره موضع تفاخر وتنابذ ! **وينسى صاحب هذا الفهم الضيق أنه ليس له أى فضل فى اعتناقه لهذا الدين أو ذاك ، إنما هى الظروف الثقافية التى ولد فيها ،** والبيئة والتربية التى لقنته حتى قبل أنه يدرك معنى الدين ، وما يتعصب له من معتقدات ، ولو أنها تغيرت لتغيرت المعتقدات التى يتعصب لها ... "

(إنتهى)

وفى الواقع ؛ ترجع أهمية هذه المقدمة إلى كونها أصبحت ــ الآن ــ فكرا نمطيا يمثل الدعوة السلبية والصريحة تجاه الدين والتدين ...!!! وأهم ما يمثله هذا الفكر ــ الوارد بهذه المقدمة ــ هو الاتى :

- **أولا :** رفض عقد المقارنات الدينية ، حيث أن مثل هذه المقارنات هى تعصب أعمى لا ضرورة له . كما لا ينبغى القيام بعمل مثل هذه المقارنات مهما كانت حسن النوايا والدوافع الحقيقية نحو البحث عن الحقيقة ووجودها . وهو ما يعنى ــ فيما يعنى ــ دعوة صريحة للجهل ورفض البحث العلمى فى أمور الدين .
- **ثانيا :** الإقرار الواضح والصريح بتساوى الفكر الدينى لدى الجماعات والشعوب المختلفة ، وهو ما يعنى إسباغ الشرعية الدينية على الأديان المختلفة ، **ونفى وجود الحقيقة المطلقة** . كما يسمح هذا الفكر بالترويج الصريح لفكر تعدد الأديان وتعدد الالهة .
- **ثالثا :** الإقرار الواضح والصريح بعدم وجود القياس ، أو المقياس المطلق الذى يمكن الإعتماد عليه فى تقرير صحة الديانة أو بطلانها . وهو ما يعنى أن " **الدين هو قضية إعتقادية بحته ، أى هو قضية غير قابلة للبرهنة أو لغير البرهنة** " ، كما قال بذلك " **جون لوك** " كما بينا ذلك فى مقدمة هذا الكتاب .

• **رابعا :** الدعوة إلى إعتناق فكر " **نسبية القضية الدينية وليس إطلاقها** " . وهو ما يعنى ــ فيما يعنى ــ غياب الغايات من الخلق ، وفقدان الخالق المطلق للوجود لهويته الشخصية . وليس هذا فحسب ، بل وسقوط التكليف أيضا عن الإنسان ، كما يؤدى هذا إلى بطلان قوانين الأخلاق كذلك . وقل ماشئت عن عبثية وفقدان الحكمة من الوجود ..!!! وبهذا المعنى لا يظل " **لغز الوجود** " قائما بلا حل فحسب ، بل يظل الإنسان أيضا ، هو ذلك الأبله الذى يحملق فيما لا يرى ... ويسمع ما لا يعى ..!!!

وبهذا يصبح أهم ما يعكسه الفكر السابق هو :

- عدم فهم معنى الدين .
- وعدم فهم معنى دور الدين فى حياة الإنسان .

ثم يؤكد الأستاذ الدكتور المترجم ــ للمرجع السابق ــ على أن :

" الميزة الأساسية لهذا الكتاب أنه يعرض للديانات المختلفة من زاوية أكاديمية وموضوعية بعيدة عن التقييم ، أو الأحكام الذاتية التى نعانى منها .. " . **(إنتهى)**

وبديهى البعد عن التقييم لا يمثل ميزة ما ... بأى حال من الأحوال ، بل هو ــ فى الواقع ــ ضعف وفشل فى فكر المؤلف ذاته ، وقصور فى إمكاناته التقنية أيضا ..!!! فالبعد عن التقييم إنما يعنى ــ فيما يعنى ــ أن المؤلف يفتقر إلى الفكر الكاف الذى يعينه على وضع المقياس أو المقاييس اللازمة والمناسبة التى تمكنه من تقييم الدين المعنى بالدراسة . **ومن ثم ؛ يصبح المرجع السابق ليس بكتاب فكر ، بقدر ما هو " تقرير لواقع غير مفهوم " يحياه الإنسان الآن .. بنفس فشله .. وبنفس مشاكله ..!!!** فليس القيمة ــ كل القيمة ــ تكمن فى معرفة فكر ديانة ما ..!!! بقدر ما القيمة ــ كل القيمة ــ تكمن فى معرفة ما هو الخطأ وما هو الصواب .. حتى يمكن استبعاد ما هو خطأ واعتناق ما هو صواب ، عن يقين وبرهان لا عن ميراث دينى أعمى بلا تعقل . فلا بد من التنبه إلى أن للوجود غايات .. كما وأن للخلق غايات .. على الإنسان تحقيقها . وأول هذه الغايات هو معرفة الديانة الحقة ، لأنها أول الطريق الصحيح لتحقيق هذه الغايات .

ثم يبقى السؤال الأخير الذى يقفز إلى الذهن ، كناتج طبيعى من سياق " **المترجم** السابق وهو : **ألا يكفى عرض الديانات المختلفة من زاوية أكاديمية ، ومن زاوية موضوعية ــ**

كما يقول بهذا المترجم ، لأن ينتهى الفرد العادى بعد قراءة هذا العرض الأكاديمى والموضوعى إلى رؤية الديانة الصواب من بين الديانات الخاطئة ..؟! وبديهى الإجابة على هذا السؤال هو : **الإيجاب بالقطع ..!!!** إذ يكفى عرض الأديان ــ بفهم وأؤكد على كلمة بفهم ــ من زاوية أكاديمية وموضوعية (وهو الشىء الذى لم يصبه المؤلف فى عرضه) حتى يسهل على الفرد العادى ــ فما بال الفرد المتخصص ــ أن يتبين بسهولة شديدة : الديانة (أو العقيدة) الخطأ ، من الديانة (أو العقيدة) الصواب . وطالما لم ينتهى الكاتب بعد عرضه للأديان بطريقة أكاديمية ، وبطريقة موضوعية (كما يقول بهذا السيد المترجم) ، إلى معرفة الديانات الخطأ من الديانة الصواب ، وطالما لم يتبين المترجم نفسه هذه المعانى ..!!! ***فبديهى أن عرض أديان العالم فى كتاب " عقائد الشعوب " لم يتم ــ كما قال بهذا السيد المترجم ــ لا من زاوية أكاديمية ، ولا من زاوية موضوعية*** [٣] ***..!!!***

---

[٣] تأكيدا على ما أقول ؛ نجد أن مؤلف الكتاب السابق ــ **جفرى بارندر** ــ قد قام بعرض الديانة الإسلامية ــ فى النسخة الإنجليزية ــ بطريقة تتسم بسذاجة وسطحية مفرطة ، كما لم يخلو عرضه هذا من الأخطاء الواضحة عن القرآن وعن الديانة الإسلامية ذاتها . وربما ــ لهذا ــ تجنب المترجم والناشر معا ، **ترجمة فصل الديانة الإسلامية إلى العربية (عن النسخة الإنجليزية)** . فعلى سبيل المثال ؛ نجد **جفرى بارندر يقول عن القرآن المجيد** فى صفحة ٤٨٤ (من النسخة الإنجليزية) :

" **... والجدير بالذكر أن القرآن ليس بكتاب عقيدة بالمفهوم المعتاد ، ولكنه نوع من النثر أو البلاغة الدينية للإنذار ، والتذكير ، والتعليم . ففى عدد من المسائل يكون القرآن غير واضح وناقص ، وفى مسائل أخرى يكون القرآن متناقضا ...** " (وبديهى ؛ لم يذكر المؤلف نصا قرآنيا واحدا ليبين ــ لنا ــ مثل هذا النقص أو التناقض)

وعن عالمية الدعوة بالديانة الإسلامية يقول المؤلف فى صفحة ٤٦٩ (من النسخة الإنجليزية) :

" **أن محمد (ﷺ) كان متأكدا ، بكل المعانى أو بكل الوسائل ، من أن الإسلام ليس له أى معنى إلا للعرب ، ومع ذلك فإن المسلمين ، فيما بعد ، رأوا فيه أغراض خلاصية (أى يمكن التبشير به عالميا) ...!!!** .

وبهذه المفاهيم يعكس المؤلف عدم فهمه للديانة الإسلامية والقرآن المجيد بشكل قاطع ...!!! حيث أغفل المؤلف كم كبير جدا من الآيات المباشرة والغير مباشرة ، التى تدل على عالمية الدعوى الإسلامية للبشرية جمعاء ، منها ما جاء فى قوله تعالى :

﴿ *وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢٨)* ﴾

(القران المجيد : سبأ {٣٤} : ٢٨)

*ونلاحظ النبوءة الواردة فى هذه الاية الكريمة : " **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** " ، أنها تنطبق على المؤلف ذاته . بل وتتخطى عالمية الدعوة (أو البلاغ) عالمنا المادى هذا ، لتشمل العوالم الأخرى ، كما جاء فى قوله تعالى :*

﴿ *وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (١٠٧)* ﴾

(القران المجيد : الأنبياء {٢١} : ١٠٧)

وأكرر القول .. بأن الخلق .. ليس عبثا كونيا أو لهوا إلهيا ..!!! بل هو وجود .. وغايات .. ومصير .. له براهينه الراسخة .. فهو ليس عشوائيات فكرية تبحث عن مبرر لوجودها ..!!! وبهذا لا يمثل المرجع السابق هداية ما ، بقدر ما يمثل عرض نمطى لا يتسم بالفهم لما هو موجود بالفعل ، ليترك الإنسان فى نفس المكان ، وفى نفس الحيرة ، وفى نفس التيه الذى بدأ به قراءته لهذا الكتاب . **فالكتاب لم يحل مشكلة ، أى مشكلة ، خاصة بموقف الإنسان تجاه الدين أو التدين ..!!! وهو لم يؤكد إلا على وجود الفطرة الدينية ــ وبطريقة ضمنية ــ التى تدفع الإنسان نحو إعتناق دين ما .. أى دين ..!!!** ***أما الحقيقة المطلقة فهى بعيدة كل البعد عن منال كل من : الكاتب ، والكتاب ، والمترجم .. معا ..!!!***

٢ . *الفكر المطلق ...*

ولنا ــ الآن ــ أن نقف وقفة للتصحيح ؛ ونبدأها بالتأكيد على أن دراسة أى دين على حدة وباستقلالية تامة عن الأديان الأخرى ، يمكن ــ من خلال هذه الدراسة ــ إقامة الدليل أو البرهان القاطع على صحة الديانة أو خطئها بشكل نهائى ، وبدون الدخول فى أى مقارنات دينية مع الأديان الأخرى . وربما كان هذا واقعا ؛ نظرا لإطلاق معنى القضية الدينية وليس نسبيتها ، أى أن الحق فى الدين هو " **حق مطلق** " وليس " **حق نسبى** " أو " **حق مقارن** " . ويمكن أن تأتى ــ بعد تقديم هذه الدراسة التقييمية ــ المقارنات الدينية فى مرحلة لاحقة ، بعد تحديد صحة الديانة أو بطلانها ، كضرورة يقتضيها حال إعتقاد الإنسان فيما هو حق .. والإعراض عن ما هو باطل .

ودراسة الديانة باستقلالية كاملة عن الأديان الأخرى ، هو ما أعنيه دائما بالقول بإطلاق معنى القضية الدينية ، وليس بنسبيتها . **وهنا يبرز السؤال الخاص بماهية المرجعية المطلقة التى يمكن أن يستند إليها الإنسان ويستخدمها فى البرهان على صحة الديانة أو بطلانها ..؟! والإجابة على هذا السؤال هو ــ فى الواقع ــ ليس مُهما فى حد ذاته ، أذ يمكن ــ كما سنرى ــ تحديد هذه المرجعية المطلقة ، كما يمكن عدم تحديدها ..!!!** ***ففى حالة عدم تحديد هذه " المرجعية المطلقة "*** ؛ يمكن للديانة ــ نفسها ــ إختيار ما تشاء من الأسس لتحديد هذه المرجعية (أى تحديد الفروض والمسلمات الأساسية التى تبنى عليها الديانة أسس الإعتقاد فى صحتها) ،

و " ***العالمين*** " ***تشمل عالمنا هذا والعوالم الأخرى*** . وهذا النص يعمم الدعوة لتشمل " **الأكوان الأخرى** " (راجع أيضا سورة : " **الجن** " من القرآن المجيد) . **وربما كان هذا أمرا طبيعيا ، كناتج طبيعى عن كون " القرآن " يمثل " دستور الوجود " ، وهو ما يعنى أنه *لا يوجد المزيد الذى يمكن يقال للعوالم الأخرى ، حول هذا البلاغ الإلهى* .**

ثم تقوم الديانة نفسها بإعطاء الدليل أو البرهان المادى والكاف (وأشدد على الدليل أو البرهان المادى والكاف) على صحة هذه المرجعية المفروضة . وإقامة الدليل المادى ــ هنا ــ ليس ترفا فكريا ، بل هو شرط ضرورى ولازم لصحة الديانة ، ويمكن أن يصبح كاف أيضا . وفى هذه الحالة ــ وبعد إقامة البرهان على صحة هذه المرجعية ــ يمكن قبول هذه المرجعية على أنها حقائق ثابتة ، حيث تستخدم ــ فيما بعد ــ فى شرح معنى نظام الوجود والقصد من ورائه والغايات منه إن وجدت . وهنا تكون الديانة قد أقامت " **البرهان الذاتى** " على صحتها ، وصحة ما جاءت به من مسلمات دينية .

أما فى الجانب الاخر ؛ وإذا لم يقبل الإنسان بـ " **البرهان الذاتى** " السابق عرضه ، فإنه يمكنه ــ هو ــ تحديد هذه المرجعية المطلقة (أى تحديد الفروض والمسلمات الأساسية) منذ البداية وبشكل مستقل عن الديانة ذاتها ، بغض النظر عن الديانة الخاضعة للدراسة . وفى هذه الحالة يصبح البرهان الدينى هو " **برهان عام** " ، لا يتوقف على مضامين الديانة ذاتها ، حيث لا تقدم الديانة ــ فى هذه الحالة ــ هذه المرجعية . وهنا تصبح الدراسة نوع من دراسة التناظر بين " **المرجعية المطلقة** " المفروضة ، وهو ما تم تحديده سلفا ، وبين مضامين الديانة المعنية بالدراسة . أو بمعنى آخر ، تصبح الدراسة نوع من تحقيق الدين لشروط هذه " **المرجعية المطلقة** " التى سبق تحديدها من قبل .

وبديهى يمكن ــ بسهولة ــ تحديد مثل هذه " **المرجعية المطلقة** " بما يتفق والمنطق البشرى المعتاد ، فلا غموض ولا لبس ، ولا بعد عن الواقع أو الفكر أو المنطق العلمى عند تناولنا للقضية الدينية . ويمكن أن تنقسم هذه " **المرجعية المطلقة** " إلى ثلاثة أقسام رئيسية [٤] :

القسم الأول : ويختص بمعطيات النص الدينى وطبيعته وينبغى أن يحوى الآتى :

- لابد وأن تحتل المعطيات الدينية الحيز العقلى لدى الإنسان .
- عدم تناقض المعطيات الدينية مع مفردات وموجودات العلم الحديث ونتائجه .

---

[٤] هذه هى الخطوط العريضة فقط لضمان حسن الإتصال الفكرى بين الكتاب الحالى والكتاب السابق : " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " (الفصل الثانى / الحد الأدنى) لنفس مؤلف هذا الكتاب . ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى هذا المرجع ، كما تم مناقشة هذه الأقسام الثلاثة من منظور الديانتين " **اليهودية والمسيحية** " ، فى الكتاب السابق (أنظر أيضا الفصل الخامس من هذا الكتاب) ، ولم تصلح أيا من الديانتين لتحقيق ولا حتى شرط واحد من هذه الشروط المذكورة .

- ألا يكون هناك **تناقضا ذاتيا** بين المضامين الدينية بعضها مع بعض ، فالتناقض الذاتى يكفى بأن يقضى على ــ أو يهدم ــ أى نظرية علمية مهما كانت صحة النتائج الجزئية التى تؤدى إليها هذه النظرية .
- أن تتسم معطيات الدين بتوسيع مدارك الإنسان ، مع إعطاء المعنى الكاف عن معنى وجود الإنسان ، والغايات من خلقه ، ومنتهى مصيره ، كل هذا ببراهين كافية وقاطعة .
- ألا يتناقض النص الدينى مع قانون الفطرة الأخلاقى لدى الإنسان .
- أن يقدم الدين إسلوب البرهان المادى الخاص به ، والذى يؤكد على صحة ما يأتى به من مضامين ومسلمات .
- أن يتحرك النص الدينى (صياغة ومعنى) مع التقدم الحضارى للإنسان ، وإلا أصبح الدين " **منتج ثقافى** " ، أى مرتبط بالبيئة المحيطة المحلية وثقافتها وقت التنزيل . فثبوت معنى النص الدينى وقصوره على المفهوم الماضى وقت التنزيل ، إنما يعنى ــ فيما يعنى ــ أن الخالق (وهو مصدر الدين) لم يأخذ فى الإعتبار التطور العلمى والحضارى الذى سوف يلحقه " **هو** " أو يجريه على الإنسان مخلوقه على مدار حضاراته المحتملة والمتوقعة ، وهو ما يعنى التناقض مع فكر الإحاطة والكمال الإلهى .

القسم الثانى : ويختص بالفكر الإلهى وطبيعته :

- فلابد أن يتصف الإله ــ فى الديانة ــ بالكمالات المطلقة ، مع تحديدها بدقة كافية ، فلا مكان لإله يتصف بصفات إنسانية متدنية ، أو صفات وثنية أسطورية . كما يجب أن تتعالى وتتناهى حكمته فوق الحكمة البشرية بل وتحويها . فلا مكان ــ فى ديانة ما ــ لإله أحمق ، أو إله متسرع ، أو إله لا يدرى ماذا يفعل ..!!!
- أن يحدد الإله ــ بدقة ووضوح ــ غاياته من خلق هذا الوجود ، ومنها خلق الإنسان على وجه التخصيص . كما عليه تحديد " **ماهية الإنسان** " ، ومكانه ومصيره فى هذا الوجود .
- ***أن يكون الإله هو مصدر الدين ، وليس الدين هو مصدر الإله*** . أو بمعنى اخر ؛ أن يبين الإله ــ من خلال النص الدينى ــ علاقته بالأديان الأخرى .. فلا معنى لدين مستقل عن واقع يحياه الإنسان ، فى ظلال من التخبط واللارؤية العقلية والدينية .

• لابـد وأن يبرهن " **الإله الخالق** " على وجوده بشكل قاطع ، وعلى فطريتـه فـي النفـس البشرية . ***ولا تجاوز ــ هنا ــ في النص .. فالمنطق .. هو منطق " الخالق " حتـى وإن أجـراه على لسان البشر ، لأنه ــ هو ــ مصدره*** [٥] .

القسم الثالث : ويختص بفكر التبليغ والرسل :

• أن يقوم الدين بتحديد وتعريف كيفية إتصال الخالق بمخلوقاته .
• أن يبين الدين ــ وهو المتوقع ــ أن الإختيار الإلهى للأنبياء والرسل لا يتم عشوائيا ، بل هو إختيار له قوانينه وقواعده الصارمة .
• أن يبين الدين أن الأنبياء والرسل هم الصفوة البشرية للتبليغ عن الإله فيما يبغيه من مخلوقه ، والغايات من خلقه . فالأنبياء والرسل هم النماذج الأولى والقـدوة فـي تطبيـق المنـهاج والشرع ، لذا لابد وأن تكون صفاتهم هى " **الذروة فى الكمال الإنسانى المحدود** " ، حيـث أنهم يمثلون القدوة البشرية للبشرية ، وذلك بمفهوم أرقى كثيرا عن مفهوم أبطال الشعوب .

وربما كانت هذه البنود السابقة ، هى الخطوط العريضة التى يمكن أن تحكم صحـة أو خطـأ الديانة المعنية بالدراسة . فبديهى لا مكان لديانة نصوصها لا عقل فيها ...!!! ولا مكـان لديانة يكون " الإله " فى نصوصها بلا كمالات ، أو على صورة حيوان ، أو مسخ أحمـق ... تتعالى عليه مخلوقاته البشرية حكمة وذكاء وبلا حدود ...!!! وبديـهى أيضـا ؛ لا مكـان لديانة تخبرنا نصوصها أن أنبياءها زناة وقتلة وسفاحين وخونة ...!!! ولا مكـان لديانـة

---

[٥] تتضح هذه المعانى فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّـها الإنسَانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ (٦) الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِى أىِّ صُورةٍ مَا شَاء رَكَّبَـك (٨) ﴾ (القران المجيد : الإنفطار {٨٢} : ٦ – ٧)

اى فى اى صورة ما شاء الله (ﷻ) ركبنا .. ولا فضل لنا ..!!! وفى قوله تعالى :

﴿ هُوَ الأوَّلُ وَالآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ وهُو بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٣) ﴾
(القران المجيد : الحديد {٥٧} : ٣)

وهو ما يعنى ــ فيما يعنى ــ بأنه هو السائل وهو المجيب وليس كما نبدوا . !!! وليس لنا اى تطاول فكـرى إلا به ، سبحانه وتعالى ..!!!

تطفح نصوصها بالفاحشة فى أحط وأقذر معانيها [٦] ...!!! ولا مكان لديانة لا تعطينا من البراهين الواضحة والكافية للحكم على صحة ما جاء بها ...!!!

٣ . حول معنى طبيعة ومفهوم البرهان العلمى ...

والآن إذا اتجهنا نحو البحث عن ماذا نملك من أساليب للبرهنة على صحة " ***القضية العلمية*** " والتى يمكن استخدامها فى البرهنة على صحة القضية الدينية ؟ فإننا نجد أن الإنسان يملك أساليب مباشرة وغير مباشرة للبرهنة على صحة " **القضية العلمية** " ويتوقف ذلك على نوع وطبيعة " القضية العلمية " المثارة ، من حيث **كونها** " **نظرية** " أو " **مبدأ فيزيائى** " أو " **مسلمة علمية** " . ويملك الإنسان ثلاثة اتجاهات فكرية أساسية ــ تكاد تكون مستقلة ــ فى كيفية البرهنة على صحة " القضايا العلمية " المختلفة . وهذه الإتجاهات يمكن تلخيصها فى : البرهان على صحة النظرية ، والبرهان على صحة أثر الوجود ، والبرهان على صحة المسلمة العلمية ، سنتناولها ــ هنا ــ بالتفصيل مع الإيجاز الشديد .

٣ . ١ البرهان على صحة النظرية ...

" ***البرهان على صحة النظرية*** " هو من البراهين الحسية المباشرة ، ويمكن تعريفه بأنه : ***تحرك عقلى فى اتجاه البحث عن ما هو مدرك ــ فى الأصل ــ بالحواس إلى تحقيق هذه الحواس . أو بمعنى آخر ؛ هو تحرك فكرى من أعلى (معرفة حسية مسبقة) إلى أدنى (تحقيق هذه المعرفة الحسية)*** . ونبين ذلك بالنظرية العلمية التالية : " ***يتطابق المثلثان إذا تساوى فيهما ضلعان وزاوية محصورة*** " . وهنا ينحصر البرهان ــ فقط ــ فى قدرة الإنسان على البحث عن الأضلاع والزوايا المتساوية فى المثلثين المتناظرين . فإن وجدت ــ على النحو السابق ذكره ــ فيكون معنى هذا أن المثلثين متطابقين .. وإلا فلا . والآن ؛ ماذا يمكن أن يقدم لنا برهان النظرية على وجود الله (ﷻ) ..؟! ولكى نجيب على هذا السؤال نأتى إلى قوله تعالى عن ذاته بأنه ..

---

[٦] أنظر : " الفصل الخامس " من هذا الكتاب . وانظر كذلك : الفصل الثالث : التجربة البشرية مع الديانتين ... اليهودية والمسيحية " ، من الكتاب السابق : " الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان " ؛ لنفس مؤلف هذا الكتاب .

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾

(القران المجيد : الأنعام {٦} : ١٠٣)

وبهذا المعنى تخرج حواس الإنسان من البرهنة على وجود الله (ﷻ) . وبهذا المعنى ؛ يفشل مفهوم "*برهان النظرية*" فى إثبات وجود الله ، عز وجل .

٣ . ٢ البرهان على صحة أثر الوجود ...

"*البرهان على صحة أثر الوجود*" هو برهان حسى اخر ، *مبنى على المقارنة الحسية بشكل مباشر* . وهذا البرهان يعنى بإثبات "*أثر وجود مادة ما*" ــ معلومة أو غير معلومة فهذا لا يهم ــ على وجود مواد أخرى . فإذا أردنا مثلا إثبات الآثار المترتبة على وجود عنصر ، كالأوكسجين ــ مثلا ــ بالنسبة للنبات ، فكل ما علينا إجراؤه هو دراسة نمو النبات فى وجود هذا العنصر وفى حالة عدم وجوده . فإن تطابقت النتائج (أى نما النبات بنفس الكيفية فى الحالتين) ثبت عدم جدوى أو قيمة هذا العنصر بالنسبة للنبات ، وإن اختلفت النتائج (أى نما النبات فى وجود العنصر ، بينما مات فى غيابه) أثبتنا أهمية هذا العنصر بالنسبة للنبات . والآن بعد معرفتنا لأهمية هذا العنصر بالنسبة للنبات ، يمكننا الحكم بوجوده أو عدم وجوده من شكل نمو النبات .

والآن ؛ لكى نستخدم مثل هذا البرهان لإثبات وجود الخالق ، علينا نجرى ــ أولا ــ تجربة ما [٧] فى حالة وجود الإله ، ثم نجريها ــ مرة أخرى ــ فى حالة عدم وجوده ، فإن تطابقت النتائج ثبت عدم وجود "الإله" ، وإن اختلفت النتائج ثبت ضرورة وجود الإله . والان ؛ إذا قال لنا الخالق ، تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١) ﴾

(القران المجيد : فاطر {٣٥} : ٤١)

---

[٧] نمو نبات أو إنسان مثلا فهذا يكفى بالغرض ، ويمكن إجراء هذه التجربة فى داخل وخارج المعبد فى حالة الالهة المتحيزة ، كالنار أو الأصنام ، أى فى حالة وجود الإله (داخل المعبد) ، وفى حالة غياب الإله (خارج المعبد) ..!!!

[أن تزولا : حتى لا تزولا]

فإن معنى ذلك أن الوجود مستغرق فى وجوده .. إذن ؛ لا محل ولا مكان لغيابه . وبهذا المعنى نرى أن الوجود مرتبط بوجود الخالق ، أى بوجود الله (ﷻ) ، فإن غاب (وحاشا له أن يغيب) لم يعد للكون أو للوجود وجود ، وهنا لا يمكننا عمل المقارنة المطلوبة فى حالة غياب الإلـه ، وبهذا المعنى يصبح " **البرهان المقارن** " أى " **البرهان على صحة الوجود** " ليس له دور فـى إسلوب البرهنة على وجود الله (ﷻ) ، وهكذا يخفق هذا البرهان أيضا .

وبديهى لابد وأن يبقى لنا نوع أخر من البراهين العلمية الدالة علـى وجـود الله (ﷻ) لقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) ﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ١٧٤)

لنرى أن " القرآن المجيد " أصبح ﴿ ... بُرْهَانٌ ... ﴾ كامل فى حد ذاته . ولكن كيف يتحقق هذا النوع من البراهين ؟! هذا ما سوف نراه فى ..

٣ . ٣ البرهان على صحة الْمُسَلَّمَةُ العِلْمِيَّة ...

المسلمة العلمية هى : " ***المنطوق العلمى*** " ***أو*** " ***القضية العلمية*** " التى لا يمكن البرهنة على صحتها بشكل مباشر ، ولكن يتم البرهنة على صحتها بشكل غير مباشر . ويتم هذا باختبار صحة النتائج المنبثقة (أو المستنتجة) منها ، فإن صحت النتائج صحت المسلمة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمة أى ثبت خطؤها . وهنا يصبح تحرك الإنسان الفكرى ***من أدنى (أى من معرفة نتائج حسية) إلى أعلى (أى معرفة قضية علمية غير معروفة وقد لا تكون مدركة بالحواس)*** ، ***وهو بهذا المعنى يصبح تحرك البرهان فى حالة المسلمة العلمية فى عكس اتجاه تحرك البرهان فى حالة النظرية*** . وحتى نتجنب التكرار ، فسوف نتاول هذا النوع من البراهين بالتفصيل فى بند (٦) **القادم : المنهاج والحل** ، من هذا الفصل .

٤. الرياضيات والدين ... أم ... الرياضيات فى الدين ...

" المنطق الرياضى .. **حلم المفكرين والفلاسفة** .. على مر العصور والحضارات ، فى استخدامه للبرهنة على صحة " **القضية الدينية** " . وربما كان هذا أمـــرا طبيعيـا لأن **العلـوم الرياضية والعلوم الفيزيائية وتطبيقاتها المختلفة** هى حقائق لا يرقى إليها الشك ، كما يمكن أن يرى فيهما الإنسان بوضوح بعض النبوءات العلمية التى يمكن أن يعتبـرها ــ إلى حد ما ــ مادة تصلح لمناقشة مثل هذه القضايا . ***ولكن لم يفلح أحد*** من المفكرين أو الفلاسفة ــ حتـى الان ــ فى الوصول إلى مثل هذا " **البرهان الرياضى** " ، وذلك للأسباب التالية :

أولا : أن معظم الفلاسفة (هذا إن لم يكن جميعهم) كانوا غير رياضيين بالمعنى العريـض للكلمة . وحتى القلة النادرة المتبقية منهم والتى مارست الفكر الرياضى ــ أمثال : **لايبنتز** [٨] ، **وبرتراند رسل** [٩] ــ قد غـرقوا فى قاع الفكر الرياضى . أى غرقوا فى فلسـفات رياضيـة لا علاقة لها بالفكر الدينى من قريب أو من بعيد . ولهذا إكتفى **لايبنتز** بالقول بعدم تعارض الإيمان

---

[٨] " **جوتفريد فلهلم لايبنتز : Gottried Wilhelm Leibnitz** " (١٦٤٦ - ١٧١٦) ، فيلسوف وعالم رياضـة ألمانى . درس المحاماة ولكنه اثر العمل مؤرخا ودبلوماسيا فى بلاط **دوق هانوفر** . توصل **لايبنتز** بشكل مسـتقل عن **نيوتن** ــ ولكن بشكل محدود ــ إلى اكتشاف " **حساب التفاضل والتكامل : Calculus** " . وقد حاول **لايبنـتز** صياغة نظريات شاملة عن العلم والدين ، أى المادية (أو التجريبية) مع المثالية القبلية . أهم مؤلفاته " **مقال عـن الميتافيزيقا** " ، و " **علم الجواهر الروحية** " (**المونادولوجية : Monadology**) . حيث يرد **لايبنتز** فيه الصفـات إلى الجوهر . ويقول بوجود جوهر هو " **المونـاد : Monade** " فى كل شىء . وكل " **موناد** " تتألف مـن نفـس وجسم . أى أن **كل موناد هو صورة ومادة فى نفس الوقت** . والصورة غير المادية هى علة غائية فاعلة ، بينمـا الجسم هو قوة ميكانيكية . **والموناد** هى الذرة الروحية التى يتألف منها الوجود . وبفضل المونادات تتحرك المـادة حركة أزلية لا تفنى . فلا جسم بدون حركة ، ولا جوهر بدون نزوع نشيط .

ولم تتعدى مفاهيم **لايبنتز** السابقة عن الإشارة عن بعد إلى وجود : " **النفس والروح** " ــ هذا إلى جـانب وجـود الجسد المادى ــ كما تعرضهما الديانة الإسلامية **بوضوح وشمولية واعية** ، كما رأينا ذلك فى الفصل الأول مـن هذا الكتاب . ولكن يقوم **لايبنتز** بعرضهما على نحو تجريدى وبطريقة مبهمة لا وضوح فيـها ، ولا صلـة لـها بالغايات من الخلق أو بالخالق . كما أشير أيضا إلى أنه يمكن أن تجد فلسفة " **سـبينوزا** " (١٦٣٢ - ١٦٧٧) أى " **فلسفـة وحدة الوجود** " أصل لها فى فلسفة **لايبنتز** . وهكذا يدور الفلاسفة كلهم فى فلك واحد يكتنفه الغمـوض وعدم الفهم ، كما تغلفهم اللاأدرية فى معظم ــ إن لم يكن فى كل ــ الأحوال ...!!!

[٩] ***(لورد) برتراند راسل : Lord Bertrand Russel*** (١٨٧٢ - ١٩٧٠) ، رياضى وفيلسوف إنجلـيزى ، أحد رواد " **الفلسفة التحليلية : Analytical Philosophy** " . يعتبر هو و " **ألفريـد هوايتـهد : Alfred N. Whitehead** " واضعى علم **المنطق الرمزى أو المنطق الرياضى** . من اثـار **رسـل** " تحليـل المـادة : The analysis of Matter " (عام ١٩٢٧) ، و الدين والعلم : Religion and Science " (عام ١٩٣٥) ، و " تاريخ الفلسفة الغربية : History of Western Philosophy " (عام ١٩٤٥) ، و " السلطة والفرد : Authorority and the Individual " (عام ١٩٤٩) . ونال رسل " **جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٥٠** . لمزيد مـن التفـاصيل أنظر كتاب : " **الحقيقة المطلقة : الله والدين والإنسان** " ؛ لنفس مؤلف هذا الكتاب .

بوجود الله مع العقل ، وهى مقولة ليس لها علاقة بالمضامين الدينية ، كما سبق وأن بينا . وعندما ربط **برتراند رسل** بين " **قضية وجود الله** " بصحة " **القضية الدينية** " (بدون أن يدرى) ، ثم اصطدم بالمسيحة ، ذهب لاعتناق " **مذهب اللاأدرية** " ، أى أنه " **لا يدرى** " ، أو لا يستطيع معرفة ، ما هى حقيقة الوجود ولا الغايات منه ولا حتى معنى الخالق له ...!!!

ثانيا : لم يتنبه الفلاسفة إلى أن " **المنطق الرياضى** " لابد وأن يسبقه " **بداية ما** " يبدأ منها . فالمنطق الرياضى هو بناء " فوقى " أو " علوى " لا يمكن أن يبدأ من فراغ ، بل لابد له من وجود فروض ومسلمات أساسية أولى يبدأ منها ، لينتهى إلى ما يمكن أن يسمى بالبرهان المطلوب . فأى نظرية ، لابد وأن تبدأ بفروض أولية (تسمى عادة منطوق النظرية) ، **تحدد بالضبط ما معنا وما هو المطلوب إثباته** ؟ حيث يبدأ عمل المنطق الرياضى ــ فيما بعد ــ فى الحيز والمساحة المخصصة له ، وذلك بعد تحديد هذه الفروض والمسلمات وماهية المطلوب إثباته . ***وهو الشىء الذى فشل فى تحديده الفلاسفة والمفكرين ..!!! كناتج طبيعى من عدم فهمهم لـ " معنى الدين " و " معنى دور الدين فى حياة الإنسان "، وذلك كناتج طبيعى من الوسط الدينى الوثنى المحيط بهم ، متمثلا فى الديانتين اليهودية والمسيحية . ولهذا انحصر دور معظم فلاسفة ومفكرى الغرب فى التوفيق بين العقل والمنطق العلمى من ناحية ، والدين وخرافاته والوثنيات الفكرية الواردة فيه ، من ناحية أخرى ..!!!***

ثالثا : لم يتنبه الفلاسفة والمفكرين إلى أن " **الفروض والمسلمات الدينية** " هى معانى إخبارية إختبارية ، وهى " **حقائق علمية عليا** " ــ كما سنرى ــ لا تأتى إلا بالوحى الإلهى الصادق للإنسان . فالإنسان غير مؤهل لمعرفة هذه المعانى بالفطرة . وبالتالى لم يستطع الفلاسفة تعريف أو صياغة المشكلة الأولى ، بشكل يسمح لهم بتحديد كيفية التعامل معها من جانب ، كما لم يفهموا ما هو المطلوب منهم البرهنة عليه ، من جانب اخر .

رابعا : عدم إدراك الفلاسفة **حقيقتين أساسيتين ومستقلتين** كل منهما عن الأخرى ... الحقيقة الأولى منهما هو أن : " **الوعى الفطرى بوجود الله** " ــ عند الإنسان ــ يحتل الجانب العاطفى لديه ولا علاقة له بالعقل (كما رأينا سابقا ، وكما سنرى ذلك فى الفصل التالى) . أو بمعنى آخر أن إدراك وجود الله (ﷻ) هو إدراك عاطفى بحت فحسب ، وليس إدراك عقلى . أى أن الإنسان لا يحتاج إلى " **دين ما** " حتى يدرك وجود " الله " (ﷻ) ، فالكل غارق فى هذه المعرفة من إخمص قدميه .. وحتى قمة رأسه .

الحقيقة الثانية هى أن " **القضية الدينية** " ذاتها ــ وهى القضية التكميلية للقضية السابقة ــ ينبغى التعامل معها بشكل مستقل عن الفكر العاطفى ، أى هى " **قضية علمية كلية** " تحتل الحيز العقلى لدى الإنسان . وعلى هذا فلها ما للعلم من شروط وقواعد صارمة ينبغى تحقيقها . ومطلوب التعامل معها بالعقل بكامل ملكاته والعلم بمنتهى قدراته .

ولهذا ــ أى للأسباب السابقة مجتمعة ــ لم يفلح أحد من الفلاسفة فى مناقشة " **الدين** " بشكل أو بآخر باستخدام الرياضة أو باستخدام المنطق الرياضى .

ونعود الآن لنلقى الضوء على " **علم الرياضة** [١٠] " ذاته ، حتى يمكننا معرفة : ماذا نملك ..؟! وماذا يمثل هذا العلم بالنسبة للإنسان ..؟! ففى واقع الأمر ؛ يعتبر هذا العلم من أهم وأنفع وأروع أقسام المعرفة البشرية ، وذلك لسبب بسيط جدا ، ***وهو أن الكون ذاته قد صاغه الله (ﷻ) فى قالب رياضى بحت ، بالمعنى الحرفى والتفصيلى لهذه الكلمات .***

وعلى الرغم من الأهمية المطلقة للرياضة كما أشرنا ، إلا أنه يمكن القول بدون تجاوز فى المعنى بأن جميع القضايا الرياضية ــ على الرغم من التنوع الشديد فى عرضها ــ هى الدائرة المغلقة التى لا تقدم للإنسان كثيرا أو قليلا نحو سبر غور معرفة ما يمكن أن نعول عليها قليلا أو كثيرا فى مجال معرفة الموت أو ما بعد الموت . لسبب بسيط ؛ هو أن جميع " القضايا

---

[١٠] **على الرغم من صعوبة تعريف علم الرياضة بوجه عام ، نظرا لوجود أفرع كثيرة فى هذا العلم يمكن دراستها بشكل مستقل ، إلا أنه يمكن تعريف الرياضة على نحو تقريبى بأنها : علم دراسة الأعداد وصورها وترتيبها ، والعلاقات المصاحبة لها ، باستخدام تعريفات دقيقة وصارمة للرموز العددية والحرفية والعملياتية .**

وتشمل الرياضة الأفرع التالية : الحساب (Arithmatic) ، ونظرية الأعداد (The Theory of numbers) ، والجبر (Algebra) (**بأفرعه المختلفة كالجبر الخطى ، والجبر الغير خطى ، والمحددات والمصفوفات ، وما يندرج تحتها من تطبيقات مختلفة من بحوث عمليات وخلافه**) ، وحساب المثلثات (Trigonometry) ، والهندسة (Geometry) وتشمل : الهندسة المسطحة (Plane Geometry) ، والهندسة المجسمة (Solid Geometry) ، **كما تشمل الرياضة أيضا** : الهندسة التحليلية (Analytical geometry) ، وهى تشمل الهندسة الإقليدية (Eulidean Geometry) ، والهندسة الغير إقليدية (Non-Euclidean Geometry) (وتعرف أحيانا باسم " **هندسة ريمان** " ؛ حيث يجد هذا الفرع بعض التطبيقات له فى **النظرية النسبية العامة** : General Theory of Relativity) ، والتوبولجى (Topology) .

كما تشمل الرياضة أيضا : علم التفاضل والتكامل (Calculus) ، والهندسة التفاضلية : (Differential Geometry) ، والتنسور التفاضلى (Tensor calculus) ، وعلم التفاضل المغزلى (The Spinor Calculus) الذى يجد تطبيقاته فى ميكانيكا الكم ، وكذا علوم الإحصاء والإحتمالات (Probability and statistics) ، ونظرية المجاميع والمنطق (Set Theory and Logic) . **كما تشمل الرياضة أيضا** فرع : المعادلات التفاضلية العادية والجزئية (Ordinary and Partial Differential Equations) **الخطية وغير الخطية** ، وطرق وأساليب حلها المختلفة العددية والتحليلية ، ***وما ينتج عنها من دوال جديدة مختلفة*** .

الرياضية " هى قضايا يمكن ردها إلى الصيغة : " أ = أ " ، أو إلى الصيغة : " أ هو أ " (أو إلى الصيغة : محمد هو محمد ، مثلا) ولكن بتكرارية منفصلة توحى بالإنفصال والتباين والتجديد ، وذلك على الرغم من سكونها ... وسكون الموت القابع فى معناها . ***فنحن فى واقع الأمر ندور فى فكر علامة التساوى (=) من اول البرهان الرياضى وحتى آخره .***

وهو ما يعنى ــ بطريقة أخرى ــ أن الرياضة تقرر بأنه : " **إذا وجد شيئا ما صحيحا فلابد أن ينتج عنه شيئا صحيحا آخر بالتبعية** " . والرياضة بهذا المعنى تكون محدودة المدى بشكل بعيد ، لأنها لا تستطيع أن تمدنا بالحقائق قط إلا إذا بدأت بالحقائق فقط . فالرياضة تخبرنا بالعلاقات بين المتغيريات فى إطار قواعد اللعبة (The Rules of Game) التى نفترضها أو نضعها فى بداية البرهان ونتمسك بها من أول البرهان إلى اخره . **وهكذا ؛ فالرياضى (أى المشتغل بالرياضة) ليس مطالبا إلا بالحصول على النتائج التى يمكن إستخلاصها منطقيا من فروض ومسلمات محددة سلفا ومن قبل . وبديهى سوف تتوقف صحة أو خطأ النتائج التى سوف يتم الحصول عليها ، على صحة أو خطأ الفروض أو المسلمات التى تم استخدامها فى بداية المسألة . كما يجب التنبه إلى أنه لا يوجد أدنى علاقة بين النتائج التى تم الحصول عليها ، وبين المنطق الرياضى المستخدم داخل المسألة . فالمنطق الرياضى داخل المسألة هو الوسيلة المستخدمة ــ بمعرفة الرياضى ــ للوصول للنتائج فحسب .**

فمثلا ؛ إذا بدأ الرياضى بفرضية خيالية أو غير صحيحة ، فسوف تقوده الرياضة أو تنتهى به إلى نتيجة خيالية أو غير صحيحة . أما إذا بدأ بفرضية صحيحة ، فإن الرياضة سوف تقوده إلى نتيجة صحيحة كذلك . فالخطأ والصواب فى نتائج المسائل الرياضية ، لا يكمن فى المنطق الرياضى ــ ذاته ــ المستخدم ، ولكنه يكمن فى الفروض أو المسلمات الأولى المستخدمة والتى تبدأ بها المسألة أو القضية قيد البحث .

ففى الواقع ؛ أن جميع القضايا الرياضية تمثل علاقات داخلية بين مفرداتها لا تتجاوز التحرك إلا فى إطار المحدود أو المفروض من قواعد اللعبة . وبهذا المعنى ، لو إفترضنا البدء بعالم الواقع فى القضايا الرياضية فإننا لن ننتهى منه إلا بعالم الواقع ولن نزيد ، أى لن ننتهى إلى ما بعد أرض الواقع ولو بقيد أنمله . وبهذا المعنى لن تقدم " **المعرفة الرياضية** " أى معرفة حقيقية تصلح لسبر غور الموت وما بعد الموت بأى شكل من الاشكال . **ومن هذا يمكن استخلاص أن الرياضة لا تصلح لدراسة القضايا الغيبية التى يجىء بها الدين .**

ثم يبقى سؤال أخير يجب طرحه قبل مغادرة هذا البند ، والسؤال هو : هل معنى هـذا أن الرياضيات لا تصلح بذاتها فى البرهنة على صحة الدين ...؟! كما وأنها لم تستخدم على نحـو ما أو اخر فى فكر الديانة الإسلامية ...؟! والإجابة على هذا السؤال ــ ببساطة شديدة ــ هـو بالنفى : ففى الحقيقة ؛ أن القران المجيد ، دستور الديانة الإسلامية (أو بمعنـى أدق دسـتور الوجود المطلق) ، قد صاغه ــ الخالق المطلق ــ فى قالب رياضى صرف وبشكل مباشر على الرغم من الظاهر اللفظى لسرد الحدث الواقع فيه ... هذا إذا ما أحسن القارىء التأمل ..!!! أما إذا لم يحسن التأمل ... فيمكن القول بأن القران المجيد قد أستخدم الأسلوب والمنطق الريـاضى بإسهاب فى عرضه للبراهين الدينية الذاتية للبرهنة على صحة الدين ...

والمفهوم الخاص بأن القران المجيد هو دستور الوجود قد جاء فى قوله تعالى :

﴿ ... *وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)* ﴾

(القران المجيد : النحل {١٦} : ٨٩)

[**ونزلنا عليك** : يا **محمد** / **الكتاب** : القرآن المجيد / **تبيانا لكل شىء** : على نحو مطلق ، أى لبيان كل ما فـى الوجود]

وجملة ﴿ ... *تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ...* ﴾ إنما تعنى بيان ، أو عرض مفردات الوجود على نحـو كلى . وبديهى لن يحتوى كتاب ما ــ مهما كان هذا الكتاب ــ كل ما فى الوجود إلا إذا كان لـه الخواص التالية :

- **أولا :** أن صياغة هذا الكتاب هى صياغة محكمة بشكل نهائى ومطلق . أى هى صياغة غير قابلة للضغط أو للإختصار عما هى عليه الآن ، وبالتالى فهى صياغة أقرب إلـى الرمزيـة الرياضية منها إلى العرض اللفظى والبيانى لمفردات الوجود .
- **ثانيا :** أن الوجود يمكن أن يختصر فى عدد محدود من القوانين العامة ، الـتى يمكـن أن تتدرج تحتها طيف عريض من القوانين الفرعية (عددها نهائى أو لا نهائى فهذا لا يـهم) ، وهى القوانين التى تمثل العلاقات المتبادلة بين مفردات الوجود .
- **ثالثا :** " ***أزلية النص القرآنى*** " .. وهى معنى لم يفهم جيدا حتى الآن ..!!! ولبيـان هـذا المعنى أقول : بأن " ***النص القرآنى الواحد*** " ينطبق على طيـف عريـض مـن الأحـداث المتنوعة والمتباعدة للإنسان ، على الرغم من نزول النص القرانى مواكب أو مناسب لحـدث بعينه فى زمن الرسول (ﷺ) . وهو ما يعنى أن النص القرانى لا يقتصر على زمان بعينـه

، ولا على حدث بعينه ، بل يصلح للتطبيق على أحداث مغايره تماما ، بل ومتباعدة تماما (زمانا ومكانا) لما تم التنزل به فى حينه ، هذا إذا ما تم تعميم معانى الألفاظ الواردة فى النص . ***وربما يعتبر هذا المنظور هو من أقوى البينات والحجج على صور إعجاز " القرآن الكريم "*** . فالنص القرانى يتمتع بنضارة غريبة ولا يبلى ، على الرغم من التقدم الحضارى للإنسان وتنوع أحداثه . فالجمل القرانية ترتبط ارتباطا مباشرا بغياهب وعمق انفعالات النفس البشرية [11] ، ولهذا يعتبر القرآن " **المعجزة الخالدة** " على مدار وجود الإنسان وحضاراته .

وكما نعلم ــ ومن واقع خبرة الإنسان ــ فإننا لا نجد الإحكام فى الصياغة إلا فى الرمز (أى الحرف الواحد) ، وهو الإحكام الذى لا نجده إلا فى التمثيل الرياضى للقوانين الطبيعية . فالرياضة ــ كما نعلم ــ تمثل الإحكام النهائى فى عرض القضايا . فالصياغة الرياضية تجوى بأقل عدد ممكن من الكلمات ، حتى تصل بالإنسان إلى التعبير بالرمز الرياضى (أى بالحرف الواحد) الذى يمكن أن يدل على الجُملة المُعَرفة أو يدل على المجال الفيزيائى أو الطبيعى العام . وبهذا تصل بنا الرياضة إلى الرمز الذى يعبر عن الظاهرة أو المجال ، كما تصل بنا ــ الرياضة ــ إلى القانون الطبيعى فى صورة المعادلة (عدة رموز) التى تحكم الوجود وحركة موجوداته وشكل العلاقات المتبادلة بينها . **وبهذا ننتهى إلى أن الإحكام فى الصياغة فى شكلها النهائى هى " صياغة رياضية " بصفة عامة ، أو على نحو محكم .** ولهذا يأتى تعريف الصياغة القرانية فى قوله تعالى :

﴿ آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ﴾

(القران المجيد : هود {١١} : ١)

---

[11] نضرب على ذلك المثال التالى ، فالنص القرانى ...

﴿ ... رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ (١٧) ﴾

(القران المجيد : القصص {٢٨} : ١٧)

قد قالها موسى (عليه السلام) بالفعال الفرحة الغامرة عندما عفا الله (سبحانه وتعالى) عنه ونجاه من الغم ، بعد وكز أحد المصريين فقضى عليه بدون أن يقصد . وقالها أيضا وبنفس هذا الإنفعال العاطفى الغامر " رئيس تحرير جريدة الشعب " (المانشيت الرئيسى للجريدة فى عددها الصادر فى ٧ يوليو ١٩٩٨) ، عندما أصدر القضاء حكمه بالعفو عنه فى أحد قضايا النشر المتهم فيها ظلما . وهكذا ؛ لا تخصيصية للحدث فى النص القرانى ، بل هو تعامل مباشر مع عمق الإنفعالات البشرية . أو بمعنى اخر ، هو التعامل المباشر ــ للنص القرانى ــ مع القانون الطبيعى ، بما فى ذلك جوهر الإنسان ، وليس مع المظاهر المختلفة لمفردات تطبيق هذا القانون الطبيعى .

[الر : تقرأ : ألف ، لام ، راء / **أحكمت آياته** : تعنى أن الصياغة الكلامية لهذا الكتاب لكل أية من اياتـه (أو بمعنى اخر لكل جملة من جمله) تحوى أقل عدد ممكن من الكلمات ، والتى تعطى ــ فى نفس الوقـت ــ أكـبر طيف ممكن (نهائى أو لانهائى : Finite or infinite) من المعانى الصحيحة والتى تأتى تحت طائلة النـص ، والتى تصلح لوصف كل ما هو متعلق بالكليات والجزئيات العلمية والفيزيائية فى كل زمان وفى كل مكان ؛ مـهما كانت طبيعة التقدم العلمى للعصر التى تشرح فيه ، أو تزول فيه هذه الآيات]

وهو يعنى ــ فيما يعنى ــ أن الصياغة القرانية صياغة محكمة ، أى هى صياغـة رياضيـة . والإحكام فى الصياغة القرانية ــ كما فى الصياغة الرياضية ــ يستدق معناه حتى يصـل إلـى الإحكام الحرفى ، وهو ما يعنى أن لكل حرف ــ فى القران المجيد ــ معناه ودلالته الخاصـة . كما تجرى الصياغة الفكرية فى القران المجيد ــ كما فى الصياغة الرياضية ــ بأقل عدد ممكـن من الكلمات والأحرف المستخدمة . ولا أقف عند هذا المعنى فحسب ؛ بل أضيف أيضـا : أن " **حركة الحرف** " ، أى " **التشكيل** " ، له معناه الواضح والصريح أيضا .

ثم نأتى إلى معنى ﴿ ... ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ لنتعدى الصياغة القرآنية بهذا المعنى الفكر الرياضى المعبر عن الحدث ، لتصل إلى الحدث نفسـه ، أى لتصـل الصياغـة القرانية إلى الفكر الفيزيائى المصاحب أيضا ، وهو ما يعنى بالتفصيل الفيزيـائى للحـدث . أو بمعنى اخر ؛ فإن الصياغة القرآنية تتجاوز المنطق الرياضى الذى يتم التعبير به ، حتى تصـل إلى النبوءة العلمية ، والتى يمكن إجراء التجربة عليها للتحقق من صدقها . وهو ما يعنـى بـأن يصبح النص قابل للملاحظة والتحقيق للتأكد من صحته وصدقه على نحو مطلق . وليـس هـذا فحسب ، بل يمكن أيضا التحقق كذلك من صدق كل ما يقع تحت طائلة النص مـن ظواهـر ، وهى ما يعنى إختصار الوجود إلى عدد محدود (finite) من القوانين الطبيعية ...!!!

ولهذا تصبح الصياغتين الرياضية والفيزيائية فى القران المجيد متلازمتين إلى حد بعيد . الأولـى منها (أى الصياغة الرياضية) تستخدم فى عرض المنطوق الفيزيائى للتعبير عن الحدث ، بينما الصياغة الثانية (أى الصياغة الفيزيائية) تستخدم فى الإشارة إلـى طبيعـة ومفـهوم الحـدث الفيزيائى نفسه ، وهى تمثل النبوءة العلمية أو الفيزيائية القابلة للملاحظة والتحقيق ، للبرهنة على صحة القضية الدينية .

وهكذا ننتهى إلى أن الفكر القرآنى مصاحب للفكر الفيزيائى فى معناه الظـاهر ، كمـا هـو مصاحب للفكر الرياضى فى معناه الأعمق المتجاوز للظاهر النصى " .

٥. الفيزياء والدين ... أم ... الفيزياء فى الدين ...

يقول الفيلسوف الإيرلندى " باركلى : Berkeley, George " (١٦٨٥ - ١٧٥٣) ، فى نظريته المثالية الشهيرة : " **لا يمكن للأشياء المادية أن توجد ، إلا عندما يدرك وجودها عقل ما ، فوجودها أو عدم وجودها يعتمد أساسا على كونها مدركة أم غير مدركة** " . ومن هذا المنظور ــ لهذه النظرية ــ يمكن أن نقول أن الأشياء تكف عن الوجود (أى تتلاشى) عندما نكف عن إدراكها .

وقد واجهت هذه النظرية ــ منذ أن قال بها **باركلى** ــ النقد الشديد ، وكان النقد مبررا فى شكل المثال التالى : هب أن شخصا ما يحتسى كوبا من الشاى فى إحدى الغرف ، ثم أدار هذا الشخص ظهره للكوب وانصرف من الغرفة ، فهل معنى ذلك أن الكوب سوف يتلاشى أثناء فترة غيابه ، ثم يعاود الكوب ظهوره مرة أخرى بعودة هذا الشخص إلى الغرفة ...!!! **وكان باركلى جاهزا للرد على مثل هذا النقد حين قال : إنا لم أقل أبدا أن وجود الشىء يعتمد على** إدراكنا ، بل أقول أن وجوده يعتمد على كونه مدركا " **من ذهن ما** " وبالتالى فعندما أنظر إلى كوب الشاى فإنه يوجد كمجموعة من الإحساسات فى ذهنى ، وعندما تنظر إليه أنت ، فإنه يظل موجودا ، حتى لو أدرت أنا ظهرى له ، لأنه موجود كإحساسات فى ذهنك . ولكن ماذا يحدث له عندما لا يكون هناك ذهن بشرى يدركه ؟ هنا يتساءل باركلى : **ألا يمكن أن يكون هناك موجود فى الكون أو عقل أو ذهن لا ينام أبدا** [١٢] **... ولا يدير ظهره للأشياء ، موجود يكون عليما بكل شىء** [١٣] **... ويكون على وعى دائم بكل شىء** (أى هو القيوم ، الذى تقوم به الأشياء والوجود ، بما فى ذلك الإنسان ذاته [١٤]) ، **أى يكون هو ذهن " الله " ؟ إن الأشياء المادية ــ إذن ــ لن تكف عن الوجود عندما تتوقف كل الموجودات البشرية عن إدراكها ، لأنها ستواصل الوجود كأفكار أو إحساسات فى ذهن " الله "** . وهكذا نجد أن **باركلى** ، على الرغم من أنه لم يدخل " **الله** " فى خارطة العالم لتفسير القانون الطبيعى (مثل حركات الكواكب

---

١٢ ﴿ ... لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ... (٢٥٥) ﴾
(القران المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٥)

١٣ ﴿ ... وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) ﴾
(القران المجيد : الحديد {٥٧} : ٣)

١٤ ﴿ الله لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ... (٢٥٥) ﴾
(القران المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٥)

حول الشمس مثلا) ، إلا أنه قد أدخله لتفسير استمرار وجود الأشياء المادية على نحـــو دائـم ومطلق .

وهنا يمكن القول بأن **باركلى قد أدرك شيئا** بالفعل عن معنى " **تشكيل العالم** " فى " **الفكر أو الوعى الإلهى** " . وهو ما يعنى أن بمجرد تواجد الشىء فى هذا الوعى الإلهى يصبح هـــذا الشىء واقعا ماديا ملموسا . وهذا المعنى ــ إلى جانب التذييلات السابقة المناظرة ــ هو ما نبهنا له **المولى** (ﷻ) عن صفاته ــ هو محصيها ــ بقوله تعالى ..

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَـــيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣) ﴾

(القران المجيد : يس {٣٦} : ٨٢ - ٨٣)

فمن هذه الاية الكريمة ، نرى أن " الله " (ﷻ) متى أراد شيئا ، وهو ما يعنى ظـــهور هـــذا الشىء فى الوعى أو الإدراك الإلهى ، فإن هذا الشىء **يتشكل على نحو فورى فى هذا الوجود** . **والفورية** ــ هنا ــ لها المعنى النسبى البحت ، وترتبط بإرادة ظهور الشىء لدى المولى (ﷻ) ، ويشمل ذلك ، فيما يشمل : الظهور المفاجىء ... والظهور اللحظى ... والظـــهور المتـــدرج الذى يأخذ معنى التطور .

وبداهة ؛ إن هذا المنظور السابق هو منظور غيبى بحت ، ولهذا فإن عرضـــه هنـــا لا يعنـــى عرض نظرية فاصلة يمكن أن يعول عليها فى حسم القضية البرهانية على وجـــود الله (ﷻ) ، بل عرضه هنا ، نعنى به مجرد عرض قضية خاصة بمفهوم ومنظور الفعل الإلهى فى تشـــكيل هذا الوجود ، وهو ما أدركه أحد فلاسفة العصر الحديث أو الفلسفة الحديثة .

ثم ننتقل إلى الإستفتاء الذى أجرته مجلة " **ريدرز دايجست** " على الشعب الأمريكى فـــى مقال لها بعنوان " **الله والشعب الأمريكى** " [١٥] . ومن بين الأسئلة التى سألها المحرر للنـــاس : السؤال الخاص بمدى إيمانهم " **بوجود الله** " ، فأجاب ٩٥% منهم بأنهم " **يؤمنون بوجـود الله** " . وسألهم ــ المحرر ــ عما إذا كان الدين مؤثرا بأية طريقة فى السياسة أو شئونهم وأعمالـــهم ،

---

[١٥] - **الدين والعقل الحديث** ؛ د. ولتر ستيس . ترجمة وتعليق : أ. د. إمام عبد الفتاح إمام . ، مكتبة مدبولـــى . ص : ١٠٧ وما بعدها .

فأجاب ٥٤% منهم بالنفى . وعندما حلل الدكتور " **جرينبرج** " هذا الإستفتاء لاحظ أن الشعب لا يجعل " الله " مرتبطا على نحو مباشر بسلوكهم . وهم يرون حتى فى حالة الإعتقاد بأن " الله " قد خلق " **القوانين الطبيعية** " ، فإن هذه القوانين تقوم الآن بدورها بدون الحاجة إلى التدخل الإلهى . تماما كما تقول أنت أن " **الساعة** " تعمل بدون الحاجة إلى تدخل " **صانعها الأول** " لاستمرارية عملها الآن .

فعندما قام " **نيوتن** " بعمل حساباته لأول مرة على حركة الكواكب حول الشمس ، وجد أن هناك إنحرافات ضئيلة فى المسارات المحسوبة عن القياسات المتاحة (فى ذلك الوقت) ، فاعتقد نيوتن أن " الله " ما يزال موجودا فى العالم ــ بعد أن خلقه ــ ليصحح إنحرافات الكواكب عن القانون الرياضى . ولما جاء " **لابلاس** " ــ من بعد نيوتن ــ بين أن الخطأ فى إنحرافات حسابات نيوتن كانت لعدم دقة القياسات الكونية فى ذلك الوقت ، وانطبقت الحسابات الجديدة لـ " **لابلاس** " على القياسات الفلكية الجديدة ، وبهذا المعنى أصبحت الكواكب تصحح مساراتها بنفسها . وعلى ذلك فحتى التصحيح الضئيل الذى تركه " **نيوتن** " لفعل " الله " فى العالم ، قد استبعده " **لابلاس** " فى حساباته وحلت محله القوانين الطبيعية .

ومن هنا كانت ملاحظة " لابلاس " على الوجود ، عندما سأله " نابليون بونابرت " : أين المشيئة الإلهية فى الكون وفى كتاباتك العظيمة ...؟! فأجاب لابلاس قائلا : بأنه ليس هناك ثمة حاجة إلى أن نفترض وجود " إله " ...!!!

ويقول **والتر ستيس** [١٦] : " إن المرء بقليل من البراعة المنطقية يمكن أن يتفادى نتيجة " **لابلاس** " السابقة . إذ يستطيع المرء أن يفترض أن " الله " يعمل طوال الوقت ، لكنه لا يعمل إلا من خلال ، وبواسطة هذه القوانين . وذلك هو الحال مع جميع قوانين الطبيعة الأخرى . **وإذا لم يكن " الله " يعمل عملا متواصلا فى الطبيعة ، فسوف تتوقف الجاذبية وغيرها من قوى الطبيعة عن العمل ، بل سوف تنهار الطبيعة نفسها . فـ " الله " لا يزال يخلق الطبيعة ، ويعيد خلقها من جديد فى كل لحظة وعلى نحو متواصل** " .

*وتعجب ... ونعجب ...!!! لأن تكون مقولة **ولتر ستيس** السابقة هى ــ بالضبط ــ خير ما يمكن أن نفسر به قوله تعالى ...*

---

[١٦] المرجع السابق ؛ ص : ١١١ .

﴿ إِنَّ اللَّـهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١) ﴾

(القران المجيد : فاطر {٣٥} : ٤١)

[أن تزولا : حتى لا تزولا]

وهو ما يعنى أن وجود " الله " (ﷻ) لا يصبح ضروريا ولازما لعمل القانون الطبيعى فحسب ، بل يصبح ضروريا ولازما **لاستمرار بقاء الوجود بأسره أيضا** ، بما فى ذلك السماوات والأرض وبما فى ذلك القانون الطبيعى والإنسان ذاته . وهكذا يصبح فكر " **ولتر ستس** " هو الإمتداد الطبيعى لفكر **باركلى** السابق ...!!! فـ " **باركلى** " يقول بأن لقانون الطبيعى يتشكل أولا فى " **الوعى الإلهى** " ، حتى يصبح له وجودا ... ويضيف " **ولتر ستس** " بأن إستمرارية وجود القانون الطبيعى يستلزم استمرارية دوام وبقاء " الله " (ﷻ) حتى يظل القانون ساريا ... وكلاهما ــ *أى **باركلى وستس** ــ لا يشيران إلا جزئية فقط من الوجود !!!*

ويضيف ***ولتر ستيس*** *فيقول* : أن هذه الفرضية السابقة ــ أى عمل الله (ﷻ) بشكل متواصل حتى يظل القانون الطبيعى قائما ــ قد فرضت نفسها على فئة قليلة من الفلاسفة ، إلا أن هذه الفرضية تظل بغير أهمية عند جماهير البشر الذين استمروا يشعرون بأن **الله** لم يعمل إلا فى البداية فحسب ...!!! ويحيط الله علما بما فى ذات الصدور ، فيقول لجماهير البشرية ولنا .. فى نصه الأزلى ...

﴿ *سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)* ﴾

(القران المجيد : فصلت {٤١} : ٥٣)

[آياتنا : والآية فى أحد معانيها القانون الطبيعى أو الظاهرة الطبيعية / **الافاق** : هى التناهى العلمى للإنسان ولفكره / **الحق** : يشير فى أحد معانيه الى القران المجيد ، كما يمكن الى أن يشير إلى الله ، عز وجل]

أى سوف يمدنا ويمدهم بالبراهين المادية اللازمة والكافية ﴿ *حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ* ﴾ ..!!! . فنحن ــ إذن ــ أمام هذه المعانى الواردة فى هذه الآية الكريمة ، نكون بصدد برهان مادى يمكن ادراكه بالحواس بشكل مباشر ..!!! وهو ما يعنى أن الادراك الحسى للحق سوف يتحقق بشكل كامل .. بعد ان يريد الله (ﷻ) المعانى التى يشير اليها القران المجيد وحتى

تطابقها مع العلم المادى الذى سوف يتيحه ــ الله ــ للإنسان !!! فنحن ــ إذن ــ فى هذه الآية الكريمة أمام تجربة معملية ، أو تجربة حسية لها قياساتها ودلالاتها الخاصة ، والتى لا تحتمل أى شك أو تأويل ﴿ ... حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ... ﴾ ، أى حتى تتحقق العامة من وجود الله (ﷻ) ، ومن صحة تنزيل القرآن المجيد ، ومن صحة الدين الإسلامى . وهنا يصبح إدراك الحق نوع من الترقى العقلى (وليس العاطفى) الذى يصل بالإنسان إلى معنى إدراك الحواس للتجربة المعملية .

ولهذه المعانى السابقة ولمعانى مشابهة ؛ ننتقل الآن إلى " **علم الفيزياء** " ، لنستأنف الإحاطة القرآنية للفكر البشرى ومناقشة مدى حدود فكر الإنسان وقصوره ..!!! و" **علم الفيزياء** " هو العلم الذى لا يتجاوز معناه على نحو عام عن وصف العالم الظاهرى ، أو وصف العالم الفيزيائى الواقع فى قالب رياضى بحت أو خالص [١٧] . أو بمعنى آخر فإن المعرفة الفيزيائية هى معرفة متعلقة بشكل القوانين الطبيعية التى تحكم العلاقات بين مفردات الوجود وقالبها الرياضى التى يمكن أن تصاغ به . أو هى معرفة القانون الرياضى أو الصفة الرياضية التى تحكم العلاقات المتبادلة بين متغيرات الظاهرة الطبيعية فحسب . حيث يسمح هذا **القانون الرياضى/الفيزيائى** الخاص بالظاهرة (أو أى ظاهرة ما) بتطبيقه ــ فى أغلب الأحوال ــ فى **مجالات أخرى** غير هذه الظاهرة المستخرج منها ، حيث تكون نتائجه ــ فى المجالات الأخرى ــ هى بمثابة النبوءات العلمية التى تمثل التقدم العلمى المرتقب أو المأمول فى المجالات الجديدة . ولكن هذا الناتج لا يتجاوز أرض الواقع الذى نحيا عليه أيضا ، أو الكون الحالى الذى تحكمنا قوانينه الفيزيائية المعرفة .

ودعنا الآن نبين ما نعنيه بهذا بالمثال التالى لبيان مدى إنخداعنا بما ننتهى إليه من نبوءات ونتائج قد تبدوا لنا فى ظاهر أمرها أنها أمور غيبية تخرج كثيرا عن كوننا هذا ، وعن حيز حواسنا الذاتية ، ولكننا ــ فى واقع الأمر ــ لم نغادر هذا الكون ولا فيزياؤه بشكل أو اخر ...!!!

فقد وجد أن **أحد نتائج حلول معادلات الجاذبية العامة** (فى النظرية النسبية العامة) ، قد ألقت الضوء على إحتمال وجود أكوان أخرى ذات طبيعة زمنية مخالفة لكوننا هذا . فقد أعطت أحد هذه الحلول ؛ نموذجا لكون الزمن فيه لا يمتد الى مالانهاية (مثل كوننا هذا) ، بل

---

[١٧] **يمكن إعادة صياغة تعريف العلم بأنه : المحاولة المبذولة لاكتشاف مجموعة من القوانين الرياضية التى تمكننا من التنبؤ بالأحداث الطبيعية فى الإطار الذى يحدده لنا " مبدأ الشك : Uncertainity Principle " ، لـ " فيرنر هايزنبرج " .**

زمنه له قيمة محددة ودورى [١٨] ، وهو ما يعنى أن أحداث هذا الكون تتكرر تماما ــ كما هى بالضبط ــ كلما إنتهت الفترة الزمنية المحددة لعمر هذا الكون الدورى ، ويشبه هذا المثل الأحداث التى تجرى على شريط فيلم سينمائى (أو شريط فيديو) حيث يعاد عرضها كلما إنتهت ، وهكذا بصفة دورية .

وتاريخيا نجد أن مثل هذا النوع من الأكوان قد جاء ذكرة فى مرائى الرسول (ﷺ) ، فى رحلة الإسراء والمعراج ، وذلك عندما عرج به إلى السماوات أو الأكوان الموازية [١٩] . وبهذا نجد أن غيبيات قضية دينية يمكن أن يشير إليها أحد حلول المعادلات الرياضية / الفيزيائية ، والتى نتجت من قضايا كونية يمكن إدراكها بطريقة مباشرة ، ألا وهى معادلات الجاذبية العامة .

والمقدمات (أو الفروض) والنتائج فى القضايا الرياضية هى عمليات قابلة للعكس ، بمعنى إننا نستطيع مثلا أن نبدأ بالكون ذى الزمن الدورى المحدود كفرضية أولى ، وهى فرضية غيبية ، لننتهى منها ــ أى من هذه الفرضية الغيبية ــ إلى معادلات الجاذبية العامة كنتائج ، وهى واقع يمكن الحكم أو القطع بصحته **فى تطبيقات أخرى** . وبهذا المعنى فإن الغيب والواقع يمكن أن يتبادلا المواقع فى القضايا " الرياضية / الفيزيائية " أو " الفيزيائية / الرياضية " .

---

[١٨] وبديهى قد تم رفض هذا الحل ، حيث أعتبر أنه حل غير منطقى وذلك لعدم اعتيادنا أن نرى مثل هذه الأكوان ذات الأكوان الدورية . فنحن لا نرى إلا كوننا هذا ، حيث الزمن فيه يسير فى إتجاه واحد (أى إلى المستقبل) ، كما لا يمكن عكسه ، وهو ما يقول به أيضا ***القانون الثانى من قوانين الديناميكا الحرارية*** . ولكن لابد وأن أشير هنا أنه يوجد إحتمال اخر بتكرارية كوننا هذا ، إذا ما أخذ بـ " **نظرية الإنسحاق العظيم : The Big Chrunch Theory** " فى الإعتبار . فعند حدوث الإنسحاق العظيم ، أى إنسحاق الكون إلى " **النقطة الشاذة** " ، فإن جميع القوانين الفيزيائية سوف تنسحق هى الأخرى وتتوقف عن العمل . ثم تبدأ فى النشوء والعمل مرة أخرى إذا ما حدث " **الإنفجار العظيم : The Big bang** " لهذه النقطة الشاذة مرة أخرى . أى أن " **القانون الثانى من قوانين الديناميكا الحرارية** " يبدأ فى الظهور مرة أخرى والعمل بعد حدوث الإنفجار العظيم . وهكذا يمكن القول بسريان الزمن فى اتجاه واحد وعدم القدرة على عكسه على طول كل فترة حياة الكون الكاملة من الحيوات المتكررة .

[١٩] الأكوان الموازية فى الفكر القرانى ، كما سبق وأن رأينا ، هو فكر أعم وأشمل بكثير من فكر الأكوان الموازية التى جاءت بها ميكانيكا الكم والنظرية النسبية وفلسفتها . فالأكوان الموازية من منظور ميكانيكا الكم لا يتجاوز معناها عن أكوان مماثلة لكوننا هذا بنفس قوانينه (راجع الفصل السابق حول منظور الأكوان الموازية كما جاء بها القران المجيد) .

وهنا لابد من تسليط الضوء على أن الإحتمال الوارد عن هذا الكون الدورى فى حلول معادلات الجاذبية العامة لم تخرج قوانينه ذاتها عن مفهوم القوانين الفيزيائية المعتادة فى كوننا هذا . فنحن بدأنا بالقوانين المعتادة فى كوننا هذا ولهذا فنحن ننتهى إلى ذات القوانين فى ذات الكون المعتاد ، أى إننا لم نغادر هذا الكون . بينما الكون الدورى الوارد فى مرائى الرسول (ﷺ) ــ كما سنرى فيما بعد ــ يخرج كثيرا عن هذا المفهوم ، **فهو كون يختلف فى زمانيته ومكانيته عن كوننا هذا ، بل ويختلف أيضا فى قوانينه الفيزيائية عن كوننا هذا** . فقوانين هذا الكون المشار إليه فى هذه المرائى هى قوانين ذات طبيعة مغايرة لما نألفه تماما فى كوننا هذا ، أو بمعنى أخر أن الكون المشار إليه فى هذه المرائى هو كون غيبى تماما لا ندرك من قوانينه شيئا . فنحن لم نشترك مع هذا الكون إلا فى مفهوم واحد فقط أو فى خاصية واحدة **هى دورية الزمن فحسب** ، وهو ما سبب لنا الإعتقاد فى أننا قد إنتقلنا إلى كون اخر ، ذى طبيعة مغايرة ، بينما واقع الأمر فإن القانون الفيزيائى العادى هو السائد فى الكونين ، أى كون قبل حل المعادلات ، وكون (النتيجة) بعد حل المعادلات . **ولهذا نستطيع أجمال القول ؛ بأن جميع النبوءات العلمية أو الفيزيائية الحالية هى نبوءات تنتهى بأرض الواقع لأنها بدأت بفرضيات من أرض الواقع .**

وأود أن أؤكد هنا ؛ إلى أننا **كثيرا ما ننخدع فى النتائج** التى نحصل عليها بعلمنا الرياضى والفيزيائى معا (على غرار المثال السابق) ، فقد تبدوا لنا بعض هذه النتائج أنها نبوءات علمية تشير ــ عن بعد ــ إلى عوالم غيبية أخرى ، ولكن الواقع أن هذه النتائج تشير إلى عوالم تقع وتقبع فى داخل عالمنا المحدود هذا ولكن بمفهوم مغاير لما اعتدناه وألفناه فحسب . أى أننا ــ فى الحقيقة ــ لم نغادر الواقع الذى نحياه بقوانينه المعتادة والمألوفة لدينا .

وننتهى من الفكر السابق إلى أنه فى جميع الأحوال لا تستطيع أى نظرية فيزيائية سبر غور **عالم ما بعد الطبيعة** (أو عالم ما بعد الموت) ، والتنبأ بما فيه بشكل قاطع أو محدد ويدعو إلى الثقة والإطمئنان إلى ما ننتهى إليه منها . وبهذا لا تبعدنا المعرفة الفيزيائية كثيرا عن حواسنا الطبيعية ، وبهذا لا تصلح ــ المعرفة الفيزيائية ــ فى معرفة " **القضية الدينية** " على نحو عام .

فالعوالم الغيبية التى سوف نشير إليها هنا ــ كما جاء ذكرها فى القران المجيد ــ هى عوالم جد غيبية بالمفهوم العريض ، فهى بعيدة كل البعد عما ننتهى إليه ــ نحن ــ من نبوءات علمية مختلفة . فهى عوالم لا نستطيع إدراك تفاصيل قليلة أو كثيرة ــ مادية ــ عنها الا فى أضيق الحدود ، ولكن تأتى تأكيدات وجودها بأساليب عقلية ومنطقية أخرى لا تحتمل الخطأ ،

وإلا أصبحت " **القضية الدينية** " برمتها " **قضية غيبية** " بشكل مطلق مما ينفى خروجها من حيز العقل والتكليف الإنسانى ، وبهذا تنتفى " **الغايات من الخلق** " ، وهو ما ينفى ــ بالتالى ــ " **الكمال الإلهى** " لفقدان المنطق فيما يبلغنا ويكلفنا به " الله " (ﷻ) ولا نستطيع التثبت من صدقه وصحته . وبهذا يصبح إيمان الإنسان " **إيمانا جزافيا** " لا يصح لحساب عليه . وأبسط ما يشير إلى عدم غيبية القضية الدينية هو قوله تعالى فى منطقه المحيط ...

﴿ وَلا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٢) ﴾

(القرآن المجيد : المؤمنون {٢٣} : ٦٢)

وهو ما يعنى أن " **قضية تكليف الإنسان** " هى قضية فى وسع وطاقة ونطاق عمل العقل الإنسانى الذى أهله " الله " به ، كما جعل العلم عليه دليلا ، وإلا لما كان قوله تعالى للبشرية العاجزة ...

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) ﴾

(القرآن المجيد : فصلت {٤١} : ٥٣)

[الحق : يشير فى أحد معانيه إلى القرآن ، كما يمكن إلى أن يشير إلى الله ، عز وجل]

٦ . المنهاج والحل ...

والآن بعد هذا العرض لمفهوم العلوم الرياضية والعلوم الفيزيائية التى يملكهما الإنسان وقصورهما الواضح فيما يمكن أن يقودا إليه فى معرفة أو حل لغز " القضية الدينية " ، أى حل " لغز الوجود " (الغايات من الخلق والموت وما وراء الموت) ..!!! ماذا بقى ــ إذاً ــ للإنسان للإجابة على مثل هذه التساؤلات ..؟! أو بمعنى آخر ، ماذا بقى للإنسان للتدليل على صحة القضية الدينية والبرهنة على وجود الله سبحانه وتعالى ، وهو الظاهر فوق كل ظهور ..؟! ولكى نجيب على هذا السؤال ، نقول .. لقد بقى للإنسان منهاجان أساسيان هما :

أولا : المنهاج العلمى
ثانيا : المنهاج الدينى

وسوف نناقشهما بالتفصيل فيما يلى :

أولا : " المنهاج العلمى " :

وما نعنيه هنا بالمنهاج العلمى ؛ هو إسلوب البرهنة على صحة النظرية الفيزيائية ذاتها . أو بمعنى اخر ؛ أننا لن نستخدم نظرية فيزيائية بعينها للبرهنة على وجود مثل هذه العوالم الغيبية ، بل سوف نتبع نفس أسلوب البرهنة على صحة وإثبات النظرية العلمية ذاتها ، وذلك للبرهنة على وجود العوالم الغيبية . وهو منهاج قاطع لا يقبل الشك ، كما لا يحتمل وجود الخطأ باستخدامه . وهذا الفكر قد سبق التعرض له فى الكتاب السابق : " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " [٢٠] والذى يبحث " **القضية الدينية** " من منظور مطلق ، وليس من منظور نسبى ، أو من منظور دينى مقارن .

وكما سبق وأن بينت ، أن هذا " المنهاج العلمى " يقوم على فرض " **مُسَلَّمَات أساسية : Essential Postulates** " [٢١] يفترض صحتها ، أو حتى خطؤها (فهذا لا يهم) ، ولا يقام دليل صدق أو برهان على هذه المسلمات بشكل مباشر ، ولكن يتم البرهنة عليها من خلال ما تؤدى إليه من نتائج قابلة للملاحظة والقياس والتحقيق . فإن صحت النتائج المترتبة على هذه المسلمات صحت المسلمات نفسها ، وإن بطلت النتائج المترتبة على هذه المسلمات بطلت المسلمات نفسها . وكلما زاد عدد النتائج الصحيحة التى تؤدى إليها " **مسلمة ما** " كلما قويت الثقة فى صحة وصدق هذه المسلمة . حتى نصل إلى اليقين الكامل ــ فى صحة المسلمة ــ إذا لم يثبت وجود أى خطأ فى أى نتيجة من النتائج التى تنبأت بها المسلمة . كما ينبغى أن أنبه إلى أنه : ليس القيمة فيما يفرض من مسلمات ، بل القيمة فيما تؤدى إليه هذه المسلمات من نتائج قابلة للملاحظة والقياس والتحقيق للتثبت من صحة وصدق هذه المسلمات . وليس فى هذا أى تجاوز علمى ، فالأمثلة الدالة على هذا المنهاج ، وصحة استخدامه ، كثيرة فى مجال الفيزياء العامة ، بل وفى كبرى النظريات العلمية فيها . فعلى سبيل المثال نجد أن :

---

[٢٠] لنفس مؤلف هذا الكتاب .

[٢١] للإتصالية الفكرية ، راجع بند ٣ السابق من هذا الفصل .

النظرية النسبية الخاصة : The Special Theory of Relativity تقوم على مسلمتين أساسيتين هما :

المسلمة الأولى : هى التى تقول بأن سرعة الضوء هى سرعة ثابتة بالنسبة لجميع الأنظمة القصورية " Inertial Frame of References " ، وهى ما يعنى أن سرعة الضوء لا تتأثر بحركة المصدر أو المستقبل له ، أو بمعنى اخر أن سرعة الضوء لا تتأثر بحركة مصدر الضوء ، كما لا تتأثر بحركة الشخص الملاحظ لها .

أما **المسلمة الثانية** : فهى التى تقول بأن القوانين الطبيعية أو الفيزيائية ، و المعادلات الرياضية الدالة عليها واحدة لجميع الأنظمة القصورية ، بغض النظر عن سكونها أو حركتها المنتظمة فى خط مستقيم [٢٢] .

واستنادا إلى تلك المسلمتين ، فقد تم استنتاج مجموعة من القوانين الفيزيائية الأساسية ، والتى أمكن التحقق من صحتها معمليا وتطبيقيا . نذكر منها على سبيل المثال ؛ معادلة انشتين الشهيرة التى تربط بين كتلة الجسم والطاقة الكلية الكامنة فى هذه الكتلة ، والتى تنص على أن : [طاقة الجسم = كتلة الجسم × مربع سرعة الضوء] . ولما تحققت فعلا صحة هذه المعادلة معمليا وعمليا ، فإننا نكون ــ فى الواقع ــ قد أقمنا الدليل ، أو البرهان ، على صحة وصدق المسلمتين الأساسيتين السابق عرضهما . وهذا هو عين المنطق المستخدم فى هذا الكتاب .

وهكذا إذا أردنا أن نناقش الدين بمفهوم النظريات الفيزيائية السابق ذكرها ، فلا بد لنا من اللجوء إلى فرض مسلمة أو عدة مسلمات أساسية ، ثم نشرع فى السير لنرى ما تؤدى إليه هذه المسلمات من نتائج . ثم علينا ، بعد ذلك ، أن نختبر مدى صحة وصدق هذه النتائج بكل الوسائل . وبديهى إن صحت النتائج صحت المسلمات المفروضة ، وإن بطلت النتائج

---

[٢٢] على حسب هذه المسلمة ؛ فإن الشخص الموجود فى داخل مركبة معلقة تتحرك ــ مثلا ــ على خط سكة حديد ناعم بشكل مطلق ، فإنه لا يمكن أن يحدد بأى تجربة حسبة (أى مدركة بالحواس) هل هو ساكن أو متحرك بحركة منتظمة فى خط مستقيم . وتضيف " **النظرية النسبية العامة : The General Theory of Relativity** " ، بأنه إذا بدأت المركبة فى الإسراع أو الإبطاء بعجله ما ، أو تحركت على منحنى ، فإن الشخص الموجود داخل العربة لا يمكنه إجراء تجربة ما .. فى داخل العربة لمعرفة القوة المؤثرة عليه : هل هى نتيجة وقوع المركبة فى مجال جذبى له نفس الـ عجلة : acceleration ، او هى عجلة ناتجة عن التغير فى حركة المركبة نتيجة زيادة السرعة ، أو الضغط على فرامل المركبة ، أو الإنحراف المفاجىء بالمركبة يمينا أو يسارا . وتعرف عدم التفرقة بين العجلة الناتجة عن التغير فى حركة النظام ، ووقوع النظام فى مجال جذبى مساو للعجلة : **بمبدأ التكافؤ : The Priciple of Equivalence** ، (انظر تفاصيل أخرى فى تذييل رقم ٣١ من الفصل الثامن من هذا الكتاب) .

بطلت المسلمات المفروضة . واستكمالا لتطبيق هذا المنهاج العلمى لابد لنا وأن نؤكد على أنه : كما لا يمكن الجمع بين المتناقضات فى القضية العلمية ، فكذلك لا يمكن الجمع بين المتناقضات فى القضية الدينية . على إعتبار أن الأخيرة (أى القضية الدينية) سوف تخضع لنفس القواعد والأسس والمعايير التى تخضع لها القضية العلمية .

ثانيا : " المنهاج الدينى " :

وهو ما يعنى " **الدين** " نفسه . والدين هنا ، ليس بمفهوم " **القضايا الغيبية** " ولكن بمفهوم " **القضايا العلمية الكلية** " . والدين هنا يصبح المصدر الذى يمدنا أو يزودنا بـ " **المُسَلّمات الأساسية : The Basic Postulates** " التى نعتمد عليها فى البرهنة على صحة هذا الدين . كما ينبغى أن يزودنا " الدين " بـ " **النتائج الضرورية والكافية** " التى يمكن إختبارها ــ بالطرق العلمية المتاحة ــ لبيان صحتها ، وبالتالى بيان صحة المسلمات التى زودنا بها . وبهذا المعنى تصبح " **القضايا الدينية** " : " **مُسَلّمات دينية** " **إخبارية ، ونتائج فيزيائية ــ إختبارية ــ منبثقة عنها** ، تخضع للتجربة والتحقيق للدلالة على صحة المسلمات الدينية المعطاة أو المفروضة . وبهذا قد تصبح القضايا الدينية أصلها غيبى بينما تمتد فروعها إلى أرض الواقع القابل للقياس والتحقيق ، كما قد تمتد بعض الفروع مرة أخرى إلى عالم الغيب الكونى ، وما وراء الغيب الكونى (وهو ما يشمل الأكوان الأخرى) . وهكذا ينحصر الوجود الإنسانى فى منطقة متوسطة قابلة للقياس لتشهد على صدق الغيب المحتوى .

وبديهى يلزم الإخبار عن هذه القضايا من يملك " **علم الإمتداد المطلق** " ، أى الذى يملك رؤية العوالم المختلفة والطبيعة المغايرة لكل منها ، ومدى تغاير وتغير الإنسان مع كل من هذه العوالم مع ثباته ــ هو ــ السرمدى فى جوهره والمستقل عن هذا الوجود . أى يجب أن يكون المخبر عن هذه القضايا ..

﴿ ... اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦) ﴾

(القران المجيد : الرّعد {١٣} : ١٦)

وهو الذى يشمل علمه عالمى الغيب والشهادة ، أى ..

﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) ﴾

(القران المجيد : الحشر {٥٩} : ٢٢)

[**عالم الغيب** : هو عالم العوالم الأخرى ، أى فيما وراء الطبيعة ، أو العالم الميتافيزيقى / **عالم الشهادة** : هو العالم الفيزيائى (أو الفيزيقى) الذى نحيا فيه ، أو كوننا المادى]

وبهذا ننتقل بـ " **القضايا الدينية** " من حيز المسلمات الفكرية إلى حيز " **القضايا الإخبارية الإختبارية** " ، أى أنها قضايا تحوى دليل صدقها . أو من منظور اخر ؛ تصبح القضية الدينية ، هى القضية العلمية الكلية لواقع مطلق لا ندرك منه إلا جزئية صغيرة ، أو شريط ضيق فقط هو " القضية العلمية " . ويكون الإمتداد الطبيعى للقضية العلمية المدركة ، قضية علمية أخرى غير مدركة (الغيب المتحرك) ، أو " **قضية كلية منقوصة غير مدركة** " (القضية الكلية تشمل الإثنين معا ، أى المدركة وغير المدركة) ، ولكن يصبح الوجود ـ أى التجربة والإختبار ـ شاهد الصدق عليها بدلالات فيزيائية ورياضية متفق عليها فى أسلوب البرهنة ، كما لا تحتمل الشك أو الخطأ .

*ومما تقدم تصبح " **القضية الدينية** " هى " **المُسَلَّمَة الأساسية** " أو " **المُسَلَّمَة الأولى** " فى " **المنهاج العلمى** " المستخدم ، وتصبح نتائج هذا المنهاج (أو النبوءات الواردة فى القضية الدينية) هو البيّنات الخاضعة للقياس والمراجعة والتحقيق . فإن صدقت النتائج ، صدقت المسلمة نفسها ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمة نفسها .*

*فإذا ما كانت " المسلمة الدينية " تحوى " **قضية إخبارية مادية قابلة للقياس وأخرى غيبية غير قابلة للقياس** " ، وصدقت القضية الإخبارية المادية بالقياس ، وهو ما يلزم عنها صدق المسلمة نفسها ، لهذا يصبح صدق القضية الغيبية الواردة بالمسلمة أمرا لازما بالتبعية . وبهذا المعنى يصبح " **الغيب القرآنى قضية قابلة للبرهان** " . وبهذا نكون قد أقمنا الدليل والبرهان القاطع على صدق " **الغيب** " الوارد فى " **القضية الدينية** " ، شأنه فى هذا شأن النظريات الفيزيائية الكبرى .* ويأتى تحقق الإنسان من القضايا الإخبارية الوارد ذكرها فى القرآن المجيد مع التقدم الحضارى للإنسان ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨) ﴾

(القران المجيد : ص {٣٨} : ٨٧ – ٨٨)

أى أن إدراك معانى القران المجيد ، لن يتأتى إلا مع تقدم الحضارة البشرية ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ وهذا ما يؤدى إلى فكر " **البرهان الحركى أو البرهان الديناميكى The dynamic proof** " فى القران المجيد . ثم نأتى إلى التذبذب وعدم الإستقرار العلمى على شكل النظرية حتى يمكن صياغتها بشكل نهائى عندما يكتمل نضجها العلمى والتجريبى [٢٣] ... كما يأتى فى قوله تعالى :

﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧) ﴾

(القران المجيد : الأنعام {٦} : ٦٧)

وهو ما يعنى أن النبوءات ــ بما فى ذلك النبوءات العلمية ــ الوارد ذكرها فى القران المجيد ، سوف تأخذ الوقت الكافى حتى تستقر على شكلها النهائى . وتتناهى صفات القران المجيد ، حتى يصبح هو البرهان الخالص للبشرية ، ودليل صدق على خلق الوجود بمعرفة الخالق (ﷻ) ... كما يأتى فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) ﴾

(القران المجيد : النساء {٤} : ١٧٤)

وهكذا يصبح " *البرهان الذاتى* " و " *البرهان العام* " من *صفات الأعجاز القرانى* . ولكن لن يصل الإنسان إلى منتهى تأويل معانى القران المجيد حتى يأتى نهاية الزمان أو التاريخ ... كما يجىء فى قوله تعالى :

﴿ هَلْ ينظُرُون إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِين نسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُوا لَنَا أَو نُرَدُّ فَنَعْمل غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خسرُوا أَنْفُسَهُمْ وضلَّ عَنْهُم ما كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣) ﴾

(القران المجيد : الأعراف {٧} : ٥٣)

---

[٢٣] نذكر على سبيل المثال **النظرية الذرية لـ نيلز بوهر** ، والذى جاء الحكم عليها بعدم دقة ، وذلك بعد صدورها بحوالى عشر سنوات ، وجاء الحكم عليها على النحو التالى على وجه التقريب **ان النظرية الذرية لبوهر تصلح لأطياف الإيدروجين والهيليوم المتأين . ولا باس بها فى حالات الذرات الأحادية التكافؤ ولكنها لا تصلح مطلقا فى حالات الذرات عالية التكافؤ .**

وهو ما يعنى أن تأويل القران بشكل نهائى لن يأتى إلا مع انتهاء **التاريخ والوجـــود البشـــرى** ...!!! ولهذا ليس بمستغرب أن يأتى قوله تعالى عن القران المجيد :

﴿ قُل لَّـئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ والجِنُّ عَلَى أن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَـــوْ كَـانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٨٨)

[ظهيرا : معينا]

وهو الحق المطلق ...!!! وهو ما يعنى إن الإنس والجن لو إجتمعوا على فكر أو **على عقـــل كائن واحد** ، فإن هذا الكائن لن يستطيع الإتيان بمثل هذا القران [٢٤] ، لسبب بسيط جدا ، هـو أن هذا الكائن (أى مجموع عقول المخلوقات) لن يتحرك إلا فى إطار المحدود ، وليس هذا فحسب ، بل سوف يتحرك هذا الكائن أيضا فى إطار المشيئة الإلهية ... كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ ... وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ... (٢٥٥) ﴾

(القران المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٥)

---

[٢٤] يـــلزم الإشارة هنا إلى وجود دراسات كثيرة قد تمت على " **أوجه إعجاز القرآن المجيد** " ، وهى دراســـات بدأت مبكرة جدا وبعد نزول النص القرآنى بقليل (أى منذ حوالى القرن التاسع الميلادى) . وأهم هذه الأوجه التى تم دراستها قديما هى :

(١) البلاغة القرآنية (وتشمل : الإيجاز ، التشبيه ، الإستعارة ، التلاؤم ، الفواصل ، التجـــانس ، التصريـــف ، التضمين ، المبالغة ، الإعجاز البيانى) ، (٢) فصاحة القرآن ، (٣) الصرفة (أى إنصراف العرب عـــن تحـــدى القرآن والإتيان بمثله ، أو بمعنى أخر : أن الله قد صرف العرب عن معارضة القرآن مـــع قدرتـــهم عليـــه ..!!! وبديهى يمثل هذا القول قمة العجز البشرى ، الذى يعكس عدم إدراك الإنسان وفهمه لمعانى القران من جـــانب ، ومعنى الدين من جانب أخر ..!!!) ، **(٤) نفى الشعر والنثر عن القرآن ، (٥) نفى السجع عـــن القـــرآن ، (٦) مخالفة النظم القرآنى لكل ما عرف من صور التعبير** . وتنسب مثل هذه الدراسات إلى كثيرين منـــهم : **الرمـــانى** (٢٩٦ هـــ) ، **الباقلانى** (٤٠٣ هـــ) ، **الجرجانى** (٤٧١ هـــ) . **الزمخشرى** (٥٣٨ هـــ) ، **فخر الدين الرازى** (٥٤٣ – ٦٠٦ هـــ) ... **وغيرهم** .

أما أوجه الإعجاز التى يتم دراستها حديثا منها : **(١) الإخبار بالغيب (ماضى وحاضر ومستقبل) ــ (٢) علـــوم القرآن ومعارفه ــ (٣) العلوم الكونية فى القرآن ــ (٤) طريقة ترتيب القرآن** . وتنسب مثل هذه الدراسات إلـــى كثيرين ، منهم : **مصطفى صادق الرافعى** (١٨٨٠ – ١٩٣٧ م) ، **ومحمد عبـــدالله دراز** (١٩١٦ ــ ١٩٥٨ م) ، **والكاتب الفرنسى " موريس بوكاى " ... وكثيرين غيرهم . كما توجد صور أخرى من الإعجاز الذى تم ويتـــم دراستها منها : الإعجاز التشريعى ، والإعجاز النفسى ، والإعجاز الموسيقى للقرآن** .

وربما ما تم عرضه من الآيات الكريمة السابقة يمثل ــ فيما يمثل ــ ليس فقط ، استقلالية القرآن المجيد عن فكر محمد (ﷺ) الشخصى تماما ، بل أيضا يمثل ــ فيما يمثل ــ أحد الجوانب الهامة الخاصة بـ " **النص القرآنى** " وتحركة مع التقدم الحضارى للإنسان ، بالبراهين التى يقدمها .

هذا وقد تعرضنا فى الكتاب السابق [٢٥] إلى بعض القضايا الإخبارية الإختبارية الذى جاء بها " **القرآن المجيد** " منها : نظرية الإنفجار الأعظم (The Big Bang Theory) ، ومشكلة المادة المظلمة فى الكون (The Dark matter) ، والنظرية الداروينية (The Darwinism) كما جاء بها القران المجيد ، كما ناقش الكتاب أيضا جميع البراهين الفلسفية للبرهنة على وجود " الله " (ﷻ) والتى جاء بها الفكر البشرى منذ بدء الحضارة وحتى الفلسفات المعاصره ، وكما جاء بها القران المجيد . وفى الفصل الثامن ــ من هذا الكتاب ــ سوف نعرض مزيد من البراهين الأخرى والتى يستطيع بها الإنسان أن يتأكد من قطعية : **الحقيقة المطلقة .. عن الله والدين والإنسان ..**

﴿ ... لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) ﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ١٦٥)

أو ...

﴿ ... أَن تَقُولُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤) ﴾

(القران المجيد : الأعراف {٧} : ١٧٢ - ١٧٤)

كما سنتعرض هنا إلى مزيد من هذه القضايا العلمية الإختبارية ، لنبين مزيد من البراهين الحاسمة التى تؤدى إلى المفهوم المطلق والنهائى لمعنى الدين ، ودور الدين فى حياة الإنسان .

---

[٢٥] " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ؛ لنفس مؤلف الكتاب .

ومما سبق ننتهى إلى أن " **المنهاج العلمى** " المستخدم فى البرهنة على صحة المسلمات العلمية (أو المسلمات الفيزيائية) هو نفسه ذات المنهاج الذى يستخدم فى البرهنة على صحة الدين . وينبغى أن أشير هنا ، إلى **أن الديانة الإسلامية هى الديانة الوحيدة التى تملك من النتائج ما لا يحصى للبرهنة على صحتها** . وليس معنى هذا أنه يوجد أديان أخرى تملك بعض أو عدد محدود من النتائج التى يمكن أن يعول عليها ــ ولو جزئيا ــ فى البرهنة على صحة الدين ..!!! فالحقيقة التى لا تقبل الجدل ؛ أنه لا يوجد أى دين اخر غير الإسلام يحتوى على أى دليل ما يمكن أن يعول عليه للتأكد من صحته ..!!!

وهكذا ننتهى إلى أن " **القوانين الفيزيائية** " بمعزل عن " **الفكر الدينى** " لا تصلح بذاتها للبرهنة على صحة " **القضية الدينية** " ..!!! فالتزاوج بين " **الفكر الدينى** " وبين " **الفكر الفيزيائى** " ، يشكل حجر الزاوية ، أو الأساس النمطى فى فكر القران المجيد فى البرهنة على صحة " **القضية الدينية** " مستخدما فى هذا " **المنطق الرياضى** " . وكما رأينا ــ وكما سنرى ــ أن القرآن المجيد يموج بالقوانين الفيزيائية العامة والخاصة ، كما يموج بالظواهر الطبيعية والكونية ..!!! وهى تستخدم ــ فيما تستخدم ــ كجذور مادية راسخة فى أرض الواقع ، بينما فروعها تمتد إلى عالم ما وراء الطبيعة أو إلى عالم ما وراء الفيزياء المادية .. ***أى تمتد فروعها إلى العوالم الغيبية ..!!! وهكذا ننتهى إلى أن القرآن المجيد ..***

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ﴾

(القران المجيد : النجم {٥٣} : ٤ - ٥)

فهذا هو وحى السماء الصادق .. ***﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾*** [٢٦] .. وهكذا يصبح ذكر الإنسان وحضاراته يدور ــ فى القران المجيد ــ فى فلك المتناهى فى هذا المحيط اللامتناهى من المعرفة والتى تزخر بها بانوراما الوجود على نحو مطلق .. لينهل منه الإنسان ما ينهل .. وليعرض عنه الإنسان فيما يعرض .. وليجعل منه الله على الإنسان دليلا .. ***وهكذا تصبح " قضية الدين " وبرهانه .. قضية منوطة ــ كلها ــ بعلم الإنسان وجهله فحسب ..!!!***

---

[٢٦] انظر طبيعة العلم والبرهان العلمى فى الفكر المسيحى فى : **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ، لنفس مؤلف هذا الكتاب ، وما يحوى هذا العلم من وثنيات فكرية وأسطورية ...!!!

فهكذا القرآن المجيد .. دستور الوجود الكونى بالمعنى المطلـــق .. هـــو الدليـــل الذاتـــى والبرهان المتحرك على طول وجود الإنسان وحضارته .. وهو الدليل الذاتى على وجود الغايات من الخلق ..!!! ***وهو يعنى ــ فيما يعنى ــ أن " الديانة الإسلامية " تحوى ــ فيما تحـــوى ــ كل من البرهان الذاتى ، والبرهان العام ، الذى يؤكد دليل صدقها .. وحقيقة أمر الغايات من خلق الإنسان ..!!!***

٧. البرهان الذاتى والبرهان العام ... والأديان الأخرى ...

ويبقى لنا أن نتساءل الآن : أين الأديان الأخرى من هذا المنهاج الإسلامى ، أى المنهاج " **الدينى/ العلمى / العقلى** " السابق عرضه ؟ وللإجابة على هذا السؤال نجيب ببساطة شـــديدة بأن جميع الأديان ــ الموجودة على الساحة الفكرية ــ خالية تماما من هذا المنـــهاج " **الدينـــى/ العلمى / العقلى** " السابق عرضه للبرهنة على صحة الديانة بصفة عامة . وليس هذا فحســب ، بل أن جميع الأديان خالية تماما من أى منهاج اخر ــ هذا إن وجد أى مُدّعى يقول بوجـــود أى منهاج اخر غير هذا المنهاج السابق عرضه ــ يمكن أن يتخذ وسيلة للبرهنة على صحـــة هـــذه الأديان ..!!!

ففى الواقع ؛ أن الأديان الموجودة على الساحة الفكرية الان مليئـــة بالقضايـــا المتناقضـــة والغير متسقة مع نفسها ، ، ناهيك عن الخرافات والأساطير الواردة فيها ، وهو مـــا يعنـــى أن الديانات تقوم على تقويض نفسها بنفسها ، بهدم بنائها المنطقى الذاتى . فالتناقض الذاتى كفيل بأن يهدم أى نظرية علمية ، مهما كانت صحة النتائج الجزئية التى يمكن أن تأتى مـــن وراءهـــا . وغالبا ما يدور فحوى القضايا الإخبارية الدينية ــ فى الأديان الموجودة الآن ــ حـــول أفكـــار أسطورية وخرافية بعيدة تماما عن أرض الواقع ، ولا تمت للحقيقة بصلة ، كما لا يدعمها حتـــى ظاهرة واحدة يمكن الإعتماد عليها فى تقرير قيمة الدين ككل ، وهو الحادث فى كل من الديانتين اليهودية والمسيحية بالذات [٢٧] .

والسؤال الذى يطرح نفسه بتلقائية شديدة الآن : كيف تسنى لهذه الأديان البقاء حتى الان ، على الرغم من قصورها الواضح فى تقديم أى برهان ذاتى ــ للأتباع ــ على صدقها ، وعلـــى

---

[٢٧] المرجع السابق .

صحة صياغتها ...؟! وللإجابة على هذا نقول : أن جميع الأديان ــ عدا الديانة الإسلامية ــ تعتمد في بقائها وتواجدها على ثلاثة أفكار أساسية هي :

- ***أولا : الوعى أو الإدراك الفطرى لدى الإنسان بوجود إله خالق له .***
- ***ثانيا : رفض الإنسان التحكيم العقلى والعلمى فى القضية الدينية ، ودور رجال الدين الواضح فى تعميق جذور هذا " الفكر " وما يصاحبه من صور مختلفة من عمليات " غسيل مخ منظمة " يجريها رجال الدين على الأتباع .***
- ***ثالثا : عدم فهم الإنسان لمعنى الدين ، ومعنى دور الدين فى حياته حتى الآن .***

وربما كانت هذه العوامل الثلاث الأساسية هى حجر الزاوية فى " **ظاهرة تعدد الأديان** " التى نراها الآن . وكما سبق وأن ذكرت ــ من قبل ــ أن رفض الإنسان لقبول التحكيم العقلى فى القضية الدينية ، يستند ــ فيما يستند ــ إلى الإعتقاد الخاطىء فى أن " **الدين** " هو " **قضية غير قابلة للبرهنة أو لغير البرهنة** " ، أى هو قضية إما أن يعتقد أو لا يعتقد فيها . وبهذا المعنى تصبح جميع الأديان ــ من هذا المنظور ــ " **غيب مطلق** " لا يوجد فيها أى أثر ، أو أى شبهة معرفية يمكن الإعتماد عليها فى تحقيق صدق أو خطأ الديانة المعنية التى نقوم بدراستها .

وكما رأينا من الكتاب السابق [٢٨] ، وكما سنرى فى الفصل القادم . بأن **الوعى الفطرى بوجود الله (ﷻ)** هو إدراك ذاتى يسكن الجانب العاطفى لدى الإنسان . وبهذا المعنى يكون الإنسان ــ فى الديانات الأخرى ــ قد اعتمد فقط على الجانب العاطفى لديه فى تدينه وتمسكه بالدين ...!!! وهكذا ينحصر المنهاج الدينى فى كل الإديان ــ عدا الإسلام الذى يطلب التحكيم العقلى فى كل خطواته ــ إلى مجموعة من التراتيل والأناشيد الدينية العاطفية ، التى تزيد من إدراك الإنسان لهذه الحضرة الإلهية داخل النفس البشرية فحسب ...!!!

وقد تصل حدة الإنفعال الذاتى لدى الإنسان بوجود هذه الحضرة الإلهية إلى الحد الذى يعتقد فيه بضرورة إراقة الدماء فى سبيل ترضية الإله ...!!! وقد يشمل هذا ــ فيما يشمل ــ تقديم القرابين الدموية على المذابح الوثنية . وقد يصل هذا المعنى إلى ذروته عند تقديم الإنسان ذاته قربانا للإله [٢٩] . وشعور الإنسان بضرورة ترضية الإله هو شعور ــ عاطفى ــ فطرى

---

[٢٨] المرجع السابق .

[٢٩] نذكر على سبيل المثال ؛ عندما دخلت القوات الصليبية للمرة الأولى مدينة القدس (أورشليم) فى يوم الجمعة الموافق ١٥ يوليو من عام ١٠٩٩ ، **قامت بذبح سبعين ألف مسلم ــ فى خلال ثلاثة أيام ــ تعظيما وإجلالا**

متجاوز للعقل ، فهو نزعة فطرية ــ عاطفية ــ يدرك بها الإنسان بحاسة لا تخطىء بأنه يتحتم عليه ترضية الإله الخالق (وهو ما يعنى ضمنيا تحقيق الغايات من الخلق) ، وأحد ظهورات هذه الفطرة يتمثل فى وجود الضمير الأخلاقى لدى الإنسان ...!!!

ولن أكون متجاوزا ؛ إذا قلت بأن إنفعال الإنسان بكل أنواع صور الجمال الذى يزخر بها الوجود ، لم يخرج معناه عن الإنفعال بالحياة ، ***وهو الإنفعال الناتج عن مزيج الألم الناتج من الوعى بالأبدية وبين رؤية الرحيل أو الموت*** ، ويمتد جذور هذا الإنفعال إلى وجود الوعى الفطرى بوجود الله (ﷻ) داخل النفس البشرية . كما وأن جميع أنواع الفنون بما فى ذلك الموسيقى والرسم والنحت والشعر والنثر .. إلى آخره من هذه الإنفعالات الإنسانية .. تعتمد فى تكويناتها .. وفى جميع صورها بشكل مباشر على حدة هذا الإنفعال الذاتى ــ والغير مُدرك ــ لهذه الحضرة الإلهية ..!!! وهكذا ؛ كلما زاد إدراك الإنسان ــ الغير واعى ــ بهذه الحضرة الإلهية وانفعاله بالحياة وبالوعى الأبدى لديه ، كلما شحذت ملكاته ، ويصبح عطاؤه العاطفى ــ للبشرية ــ فى صور الفنون المختلفة ... أكثر وضوحا وجلاءا ..!!!

وهكذا نجد أن جميع مناهج الأديان المختلفة ــ عدا الديانة الإسلامية ــ خالية من أى منهاج **عقلى/علمى** ، وهو المنهاج الذى يعتمد ــ فيما يعتمد ــ على وجود القضايا الإخبارية الإختبارية التى تسمح للإنسان عند إستخدامها باختبار صحة الديانة للتحقق من صدقها من ناحية ، والتأكد من من صدق منهاج الخلاص الذى تقدمه للإنسانية من ناحية أخرى .

٨. *الدين والباراسيكولوجى* [٣٠] ...

وهكذا تبنى جميع الأديان وجودها على وجود الجانب العاطفى لدى الإنسان فحسب . حيث تضع الوعى الفطرى بوجود الله (وهو إدراك عاطفى) كبنية تحتية أو أساسية ، ثم تقيم عليه بنية فوقية ، فى صورة منهاج وضعى ، لا يتجاوز معناه عن فكر وخيال الإنسان ذاته الذى

وقربانا للرب ...!!! أنظر كذلك الفصل الرابع : " **بند ٥ : والإبادة البشرية كناتج حتمى للمفهوم الدينى الوثنى والفلسفة الحديثة** " ، وانظر المرجع السابق لتفاصيل أخرى .

[٣٠] **علم : " الباراسيكولوجى : Parapsychology " ، أو علم : " فيما وراء علم النفس " : هو العلم الذى** يبحث فى دراسة ظواهر : " **التخاطب عن بعد : Telepathy** " و " **الجلاء البصرى : Clairvoyance** " و " **علم الحركة النفسى : Psychokinesis** " (أى علم تحريك أو التحكم فى الأشياء ــ المادية ــ عن بعد باستخدام القوى النفسية) وهى الظواهر التى لا نستطيع شرحها ــ حتى الآن ــ باستخدام القوانين الطبيعية أو القوانين المادية المعروفة .

يشكل فيما بعد .. ما يعرف باسم العقيدة أو الديانة [٣١] . وغالبا ما تأسست الأديان في فترة مبكرة من التاريخ ، أى فى مرحلة ما قبل لنضوج الفكرى والعقلى للإنسان ، لهذا نجد أنها تستند ــ فى معظم صورها ــ على فكر خرافى وأسطورى إلى حد بعيد .

وبهذا المعنى تنقل الديانات الموجودة على ساحة الفكر البشرى " **القضية الدينية** " برمتها من أرض الواقع إلى الجانب الميتافزيقى الغير واع للإنسان ، أى إلى أرض الأسطورة والخرافة والخيال ..!!! وعادة ما يستكمل الفرد ــ فى تلك الأديان ــ إيمانه بها ببعض الأفعال الغير مألوفة ، أو ما يسمى ــ جوازا ــ بالمعجزات التى تجرى على أيدى الكهنة ورجال الدين فى تلك الأديان [٣٢] . وغالبا لا تنتبه العامة ــ فى هذه الأديان ــ إلى أن هذه الأفعال هى فى واقعها يمكن أن تنسب إلى " **خواص القوى النفسية الكامنة فى الإنسان ذاته** " ، نظرا لحدوثها على أيدى أفراد ذات تنوع كبير فى إنتماءاتهم الدينية ، وليس فقط على يد رجال دين محدد ، بل وتقع

---

[٣١] هذا باستثناء **إعادة صياغة الديانة السماوية** باسلوب بشرى ــ على غرار ما انتهت إليه الديانتين اليهودية والمسيحية ــ وما أصابهما من تشوهات وتحريفات تصل فى مداها إلى حد الخرافة والأسطورة واللاعقلية ، كما سنرى ذلك فى الفصل الخامس من هذا الكتاب (أنظر كذلك مرجع الكاتب السابق)

[٣٢] أشير هنا إلى أن بعض عامة الشعب المسيحى يستندون فى إيمانهم بالمسيحية إلى حدوث بعض خوارق الأعمال (**وهو ما يعرف بالمعجزة فى الديانة المسيحية ، والاستدراج فى الديانة الإسلامية**) التى يمكن أن تجرى على أيدى بعض رجال الدين المسيحى مثل شفاء المرضى وإخراج الشياطين .. وخلافه . وتعتبر العامة مثل هذه الأمور هى من " **المعجزات الدينية** " ، والتى تعتبر دليلا تكميليا على صدق وصحة الديانة ذاتها ، نظرا لعدم إمكان تفسير مثل هذه الأحداث باستخدام ما هو مألوف من العلوم الطبيعية أو الفيزيائية العادية ..!!!

ويرى بعض " الباراسيكولوجيين : Parapsychologists " ، أن أمثال هذه " الخوارق " لا تتخطى حدود الطبيعة البشرية التى لا نزال نجهل عنها الكثير . وفى هذا الصدد **يقول الدكتور " روجيه الخورى "** اللبنانى (بعد دراسته الخاصة **بجثة القديس " شربل " اللبنانى ، والتى وجدت أنها تنضح بالسوائل ولم تتعفن**) : " **أن كثيرين من المقربين إلى أنفسنا نصحونا بعدم إعلان بطلان بعض هذه " العجائب " ، ولكن حبنا للحقيقة ، وثقتنا فى العلم وإيماننا بالدين هى التى دفعتنا بالقول بهذا** " . ويضيف ــ روجيه ــ قائلا : " **بأننا لا نريد المدافعة عن إعتقادات غير مؤكدة ، كى يعلم الجميع أننا نقبل ما هو طبيعى إذا استطعنا تفسيره ، ونأخذ فى الإعتبار ما هو خارق للطبيعى حاليا إذا لم نستطيع تفسيره بالوسائل العلمية** . [عن : " **الدين والباراسيكلوجيا** " ؛ د. روجيه الخورى ــ دار ملفات ــ لبنان ؛ ص : ٢٢٥]

وعلى الرغم من أن " **روجيه الخورى** " قد أصاب فى فهمه فى تفسير " **الخوارق** " حين نسبها إلى خواص الإنسان ذاته ، إلا أنه لم يصب فى فهم معنى الدين " تماما ، كما لم يفهم معنى ***دور الدين فى حياة الإنسان ..!!!*** لهذا يرى ، روجيه الخورى ، أن " **التناقض هو خاصية الدين** " ، حيث يقول فى مرجعه السابق (ص : ٥٨) : " **أن للعلم أراء لا يجدى نفعا أن يحاربها الدين لأن الزمن فى صالح العلم ، وأن للدين إثباتا لا يجدى نفعا أن ينكره العلم لأن هناك بينات لا يمكن للعلم نقضها** " ..!!! و " **روجيه الخورى** " لم يكن يتكلم فى كتابه هذا إلا عن " **الديانة المسيحية** " ، كما أشار هو بذلك صراحة فى مرجعه السابق فى صفحة (٥٨) ..!!! ولم يقم " **روجيه الخورى** " بتعريف الدين ــ ولا حتى بتعريف معنى الباراسيكلوجى ــ فى كتابه هذا ، على الرغم من أن كتابه .. يحمل العنوان نفسه ، أى : **الدين والباراسيكلوجيا** ..!!!

أيضا مثل هذه الخوارق على أيدى أفراد عاديين لا ينتمون ــ أصلا ــ إلى دين ما . وعـــادة ما تنسب مثل هذه الأعمال إلى " **الحـــواس الزائـــدة : The Extra-senses** " ، أو " **الحاسـة السادسة** " للإنسان ، والتى تمثل **الخواص النفسية الكامنة فى الإنسان** . كمـــا يقـــوم علـــم " **الباراسيكوجى : Parapsychology** " [٣٣] **على الإهتمام بدراسة مثل هذه القضايا التى لا يمكـن دراستها أو تفسيرها من خلال ما هو مألوف من القوانين الطبيعية العادية .**

وأود أن أشير هنا إلى أن هذه الخوارق ، أو هذه الأمور الغير عادية [٣٤] والتى تجرى على أيدى بعض الأفراد ــ فى جميع الأديان ــ ليس لها علاقة بشكل الدين أو مضامينه الداخليـــة ، كمـــا وإنها لن تـــُعَرِّف إلـــها أو تحدد منطقا ما يمكن التعرف من خلاله على الغايـــات مـــن خلـــق الإنسان ..!!!

كما ينبغى أن أشير إلى أن عجزنا عن تفسير بعض هذه الخوارق ، ربما يقوم فـــى الأســـاس الأول والأخير على رفض الإنسان لقبول فكرة تداخل عالم آخر معنا فى هذا الوجود ، هـــو " عالم الجن " . وهو عالم مكلف ومسئول ــ مثل عالم الإنسان تماما ــ وسوف نتكلم عنه فيما بعد إنشاء الله .

ثم تبقى بعض الأسئلة الأخيرة التى يمكن أن تنتج عن الموقف السابق ... هى : ما قيمـــة أن يعرف الإنسان .. أن كاهنا ما .. تجرى على يديه بعض الخوارق أو بعض المعجـــزات (

---

[٣٣] راجع تذييل رقم ٣٠ السابق .

[٣٤] بديهى يوجد لفكر " **الخوارق** " **هذا ، أو ما يسمى جوازا بـــ " المعجزات** " التى يأتى بها الإنسان المســـيحى على النحو السابق ذكره فى التذييل قبل السابق ، فكر مناظر فى الديانة الإسلامية ، وتعتبر هذه الخـــوارق التـــى تجرى على أيدى بعض الصالحين على نحو مستمر من وجهة نظر بعض المسلمين ، **هى مـــن " كرامـــات أهـــل التقوى** " (كشفاء المرضى وإخراج الشياطين .. وحتى إلى حد إحياء الموتى كما حدث مـــع الحـــلاج ــ شـــهيد التصوف الإسلامى ــ عندما أحيا ببغاء ولى عهد الخلافة العباسية بعد موته ..!!!) . ولكن الكل ــ كل المسلمين ــ مجمع على أن لا يوجد أدنى علاقة ما بين هذه الأمور الإعجازية أو الخارقة ، وبيـــن منطـــق الديـــن ذاتـــه وعقلانيته . **وهـــو ما يؤكد فكر " الباراسيكلوجيين " ــ السابق الإشارة إليه ــ من أن الإتيان بمثل هذه الخـــوارق هى من خواص الإنسان ذاته وليس له علاقة ما بالدين .**

وبديهى والأمر هكذا ؛ فلا يمكن إعتبار هذه الخوارق بيّنة أو دليل صدق يؤيد أو يؤكد **صحة الديانة** المعنيـــه . **أو من منظور آخر** ؛ طالما وأن مثل هذه الأمور الخارقة تجرى على نحو متماثل إلى حد بعيـــد فـــى الديانـــات المختلفة ، **بما فى ذلك المجتمعات البدائية التى تمارس السحر فى شكل طقوسها الدينية** ، لذا فلا يمكن رد هـــذه الخوارق إلى الديانة التى يعتنقها الفرد القائم بها ، بل يجب أن ردها إلى " **خصائص الإنسان ذاته** " ، أى لا علاقـــة لها بالدين ، وبالتالى لا يمكن أعتبار مثل هذه الأمور كبيّنات ملزمة عند قيامنا بالبرهنة على **صحـــة الديانـــة** المعنية . طالما وأن ظهورها ــ على يد الإنسان ــ يتساوى فى جميع الأديان ، فهى ليست مقصورة على ديانـــة بعينها دون غيرها .

جوازا) ..؟! فهل هذه المعرفة ستحقق للإنسان خلاصا ما ..؟! أو هل هذه المعرفة ستقدم للإنسان منهاجا ما يمكن أن يعول عليه الإنسان ويتبعه لتحقيق الغايات من خلقه ونيل الخلاص المأمول ، أى السعادة الأبدية ..؟! بديهى الإجابة على هذا هو النفى بالقطع ..!!!

ومن ناحية أخرى ؛ هل هذه المعرفة (مثل معرفة جثة ما .. لقديس ما .. تتضح بالسوائل ، راجع تذييل رقم ٣٢ السابق) ستسبغ منطقا ما (أو برهانا ما) على الديانة ذاتها التى يتبعها هذا الكاهن أو هذا القديس التى تجرى على يديه أو على جثته مثل هذه الخصوصية ..؟!!! وخصوصا إذا ما كانت المضامين الدينية الخاصة بهذا الكاهن أو هذا القديس هى مضامين خرافية لا عقل فيها ، ولا يتفق نص جوهرى واحد فيها مع المنطق العلمى أو التجربة الحادثة ..!!! بديهى الإجابة على هذا هو النفى بالقطع ..!!! وأخيرا ؛ هل هذه المعرفة سوف تحل التناقضات الذاتية فى الديانة نفسه .. وخصوصا إذا كانت هذه الديانة مليئة بالمتناقضات وبالوثنيات الفكرية [٣٥] ..؟! بديهى الإجابة على كل هذا هو النفى بالقطع ..!!!

---

[٣٥] انظر كتاب : " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ، لنفس مؤلف هذا الكتاب ، لرؤية مثل هذه الخرافات فى الديانتين " **اليهودية والمسيحية** " . كما ينبغى الإشارة هنا إلى أن هذه المعجزات (جوازا) والتى تجرى على أيدى بعض رجال الدين ، تمثل العلاقة المباشرة بين " **عالم الجن** " و " **عالم الإنس** " .

و " **عالم الجن** " ؛ هو عالم يحتل كون مناظر لكوننا هذا ، ولكن تحكمه قوانين فيزيائية مغايرة للقوانين الفيزيائية الخاصة بكوننا ، وهو عالم مكلف ومسئول تماما كعالم الإنسان ، أى مطلوب منه ــ فى أثناء فترة حياته ــ تحقيق الغايات من خلقه هو الآخر . والتعاون بين " **الضالين** " من هذه العوالم المتناظرة ــ **الإنس والجن** ــ هو أمر قائم وموجود فعلا . ويمكن أن يفسر على أساسها جميع أعمال السحرة التى نراها على المسرح السحرى الان . **وتأتى جميع هذه المعانى السابقة فى إحكام بالغ ومباشر فى قوله تعالى :**

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّن الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠) ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢) وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٣) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (١٣٤) ﴾

(القران المجيد : الأنعام {٦} : ١٢٨ - ١٣٤)

وسنعود لهذه المعانى فى .. كتابات تالية .. إنشاء الله .

إن المعجزات التى كان يجريها المولى (ﷻ) على أيدى أنبيائه ورسله ، كانت المقدمة لتقديم المنهاج الإلهى .. وتأييدا من الحق ــ تبارك وتعالى ــ لأنبيائه ورسله . فلم يكن الهدف من المعجزة هو تقديم برنامج ترفيهى للإنسان المشاهد ..!!! فلا قيمة لمعجزة بدون منهاج ..!!! كما لم تقدم المعجزة ــ من جانب المولى (ﷻ) بهدف قهر الإنسان على الإيمان بالمنهاج ..!!! فالقضية الإيمانية هى " ***قضية عقلية*** " فى المقام الأول والأخير . ولهذا عندما حزن الرسول (ﷺ) على عدم إيمان كفار مكة برسالته ، يأتى قوله تعالى له ..

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ(٣) إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) ﴾

(القران المجيد : الشعراء {٢٦} : ٣-٥)

[**باخع** : قاتل ومهلك نفسك من الغم على قومك / **فظلت أعناقهم لها خاضعين** : بمعنى لن يستطيع أحد أن يلوى عنقه ، أو التحول عن الإيمان بهذه الآية وبوجود الله / **محدث** : مما يحدثه الله إليك]

وهو ما يعنى أن الخالق ، تبارك وتعالى ، قد ترك القضية الإيمانية كلية فى حيز الإختيار الإنسانى ، وليست قضية قهرية يفرضها المولى على الإنسان .

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)﴾

(القران المجيد : يونس {١٠} : ٩٩)

ولكنها غايات من الخلق .

ثم نأتى فى نهاية المطاف إلى أئمة ورجال الدين ، الذين يتكفلون بأمر العقل لدى الأتباع . حيث يقومون بممارسة عمليات غسيل المخ المنظمة والجماعية عليهم ، كما يقومون ببث الرعب لدى العامة ــ منذ نشأتهم [٣٦] ــ على التنكر للعقل والإبتعاد عنه ، والتنكر للتحكيم العقلى بجميع صوره فى كل ما يتعلق بأمور العقيدة ، تحت دعوى أن العقل ، والتحكيم العقلى يمثلان " فتنة الشيطان " للإنسان وبشكل مباشر ..!!!

---

[٣٦] أنظر كتاب : " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ، لنفس مؤلف هذا الكتاب ، لرؤية رأى علماء النفس حول هذا المعنى ، وكذا عمليات غسيل المخ الجماعية التى يجريها الائمة على الإتباع .

تم يضيف رجال الدين بأن هذا العقل ، والتحكيم العقلى لن يؤدى بالأتباع ــ وبما لا يدع مجالا لأى شك ــ إلا إلى الضلال والهلاك وخسران المصير ..!!! وبديهى لن يعنى هذا ــ من وجهة النظر هذه ــ إلا تقطيع روابط صلة الفرد الحقيقية بخالقه ، وهو الخالق الذى يدرك الفرد وجوده الذاتى (أو الفطرى) حق الوجود ..!!! وهكذا تصبح القضية الدينية برمتها ــ بعد تدخل رجال الدين ــ قضية إعتقادية لا عقل فيها على الإطلاق .. ولا تستند فى وجودها فقط إلا على الجانب العاطفى لدى الإنسان ..!!!

وكما رأينا ــ وكما سنرى ــ أن اختبار الإنسان فى هذه الحياة الدنيا ، إنما ينحصر ــ وبشكل مباشر ــ فى تعرّف الإنسان على الديانة الحقة فحسب ..!!! وليس هذا فقط ، بل يمكن القول بأن : قمة الغايات من خلق هذا العقل الإنسانى ، وعلى مثل هذا النحو ، ليس إلا للتعرف على الدين الصحيح . فتناهى علم الإنسان ... وتناهى الحضارات ... وتناهى الغايات من خلق الإنسان .. لن يتجاوز فى معناه المطلق إلا الوصول إلى الله .. عز وجل .. كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وأنَّ إلَى ربِّكَ المُنْتهَى (٤٢) ﴾

(القران المجيد : النجم {٥٣} : ٤٢)

وبديهى أن الإعراض عن العقل لن يقود الإنسان إلا إلى البعد عن هذه الحقيقة ، وهو لن يعنى ــ فيما يعنى ــ إلا ضلال الإنسان وهلاكه . وهكذا يختبر هذا الإنسان .. فيما هو دون ملكاته العقلية بكثير .. وهو التعرف على الدين الحق ، ولكنه يعرض عن هذا الإختبار .. تحت دعوى الخوف وإضلال الشيطان له ..!!!

وهكذا يقوم **أئمة الديانات ــ فى واقع الأمر ــ بدور الشيطان ذاته** عندما يقررون ــ للعامة ــ أن ترك العقل إنما يعنى ترك المنهاج الحق وتجنب فتنة الشيطان ، بينما إتباع العقل إنما يعنى إتباع طريق الضلال والهلاك ، وليس هذا فحسب ، بل يروا ــ فيما يروا ــ أن إتباع العقل والمنهاج العلمى فى القضية الدينية إنما يعنى ــ وبشكل مباشر ــ إتباع منهاج الشيطان وفتنته فى أوسع معانيها ..!!! وينبه المولى (ﷻ) الأئمة والأتباع ، بقوله تعالى ..

﴿ ... وَلَوْ يَرَى الَّذين ظَلَمُوا إذْ يَرَوْن العَذَابَ أنَّ القُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا وَأنَّ اللّهَ شَدِيدُ العَذَاب (١٦٥) إذْ تَبَرَّأ الَّذِينَ اتُّبِعُوا من الَّذين اتَّبَعُوا وَرَأَوْا العَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ

الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٦٥ - ١٦٩)

[**وتقطعت بهم الأسباب** : أى لن يقبل منهم أى أعذار أو أى تبرير لأسباب ضلالهم ، وظلمهم للآخرين ولأنفسهم ، كما وأنه لا توجد أسبابا يمكن أن يقولها الأئمة للشعب حتى يقوم الشعب باتباعهم . كما لا يوجد أسبابا يمكن أن يقولها الشعب لتبرير اتباعه للأئمة ، فالذنب ــ هنا ــ واقع على الطرفين ، وكلاهما فى النار . **وموقف الآئمة هنا هو نفس موقف الشيطان من إضلال الناس كذلك** (أنظر الملحق الثالث ، ص : ٥٧٥ ، من نفس هذا الكتاب) . كما يمكن أن تستوعب كلمة " **الأسباب** " أيضا معنى **الوصل** الذى يمكن أن يكون بين الأئمة والشعب فى الحياة الدنيا من الأرحام والمودة وخلافه / **حسرات** : جمع حسرة ، والحسرة هى أشد الندامة]

وهذه هى اللقطة الأخيرة فى حياة المكذبين ، الذين لم يحققوا الغايات من خلقهم ، وهم على عتبة العوالم الآخرى ، وقبل وقوفهم بلحظات أمام الحقيقة المطلقة وجها لوجه ..!!!

ولن يدرك الإنسان ــ فيما يدرك ــ تلك اللقطة التى يعرضها المولى (ﷻ) على هذا الإنسان الغافل ، لعله يفيق من غيبوبته .. ويتدارك أمره قبل فوات الأوان ..!!!

﴿ فَلَمَّا جَاءتْهُمْ ءايَاتِنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤) ﴾

(القران المجيد : النمل {٢٧} : ١٣ - ١٤)

[**ءايتنا** : أدلتنا وحجتنا (وينطبق هذا على القرآن المجيد) / **مبصرة** : وضوح الرؤية بعد الفهم والتفكر فيها / **واستيقنتها أنفسهم** : علموا يقينا بأنها من عند الله / **ظلما** : اعتداءا / **وعلوا** : تكبرا]

وليت الإنسان يعى ــ فيما يعى ــ هذه المعانى ..!!!